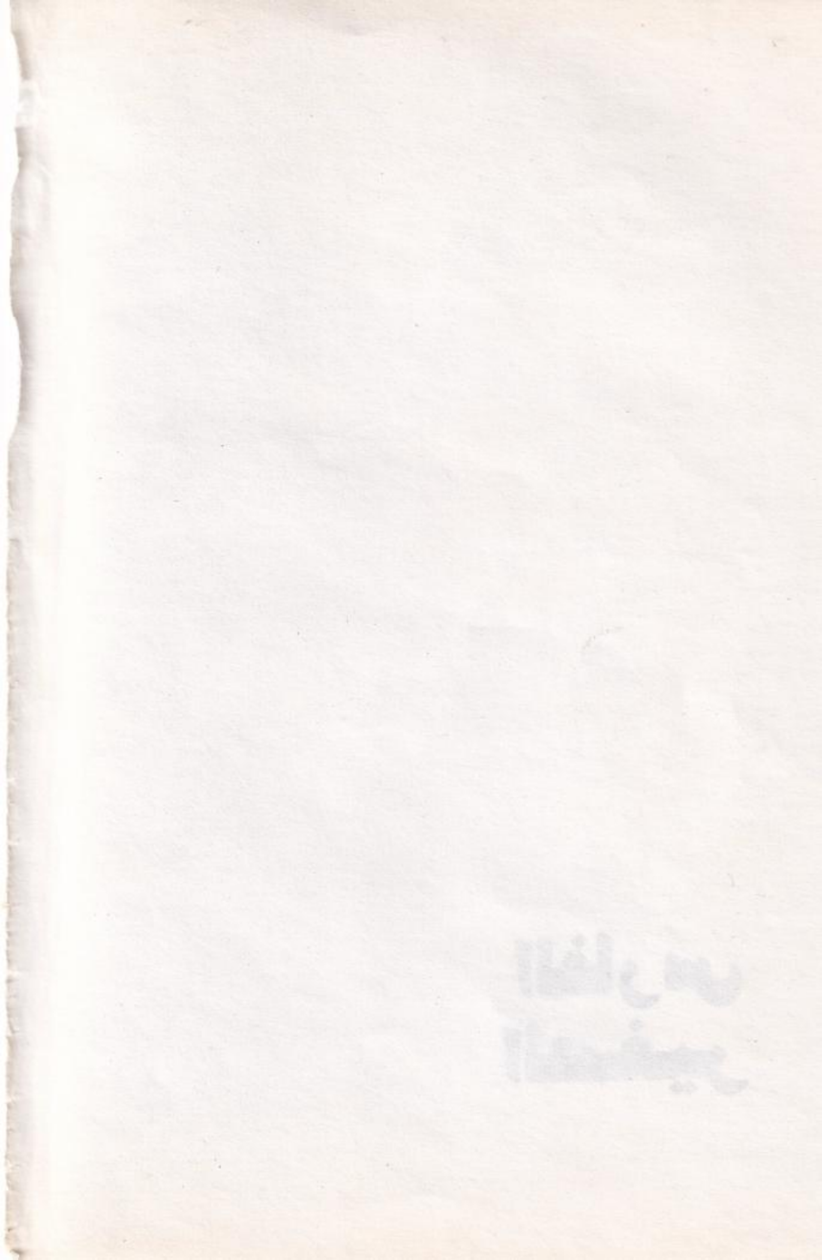
روايات
عالمية
للفتيان

الفارس الصغير

إديث سي . كينيون



الفارس الصغير

تأليف : إديث سي . كينيون

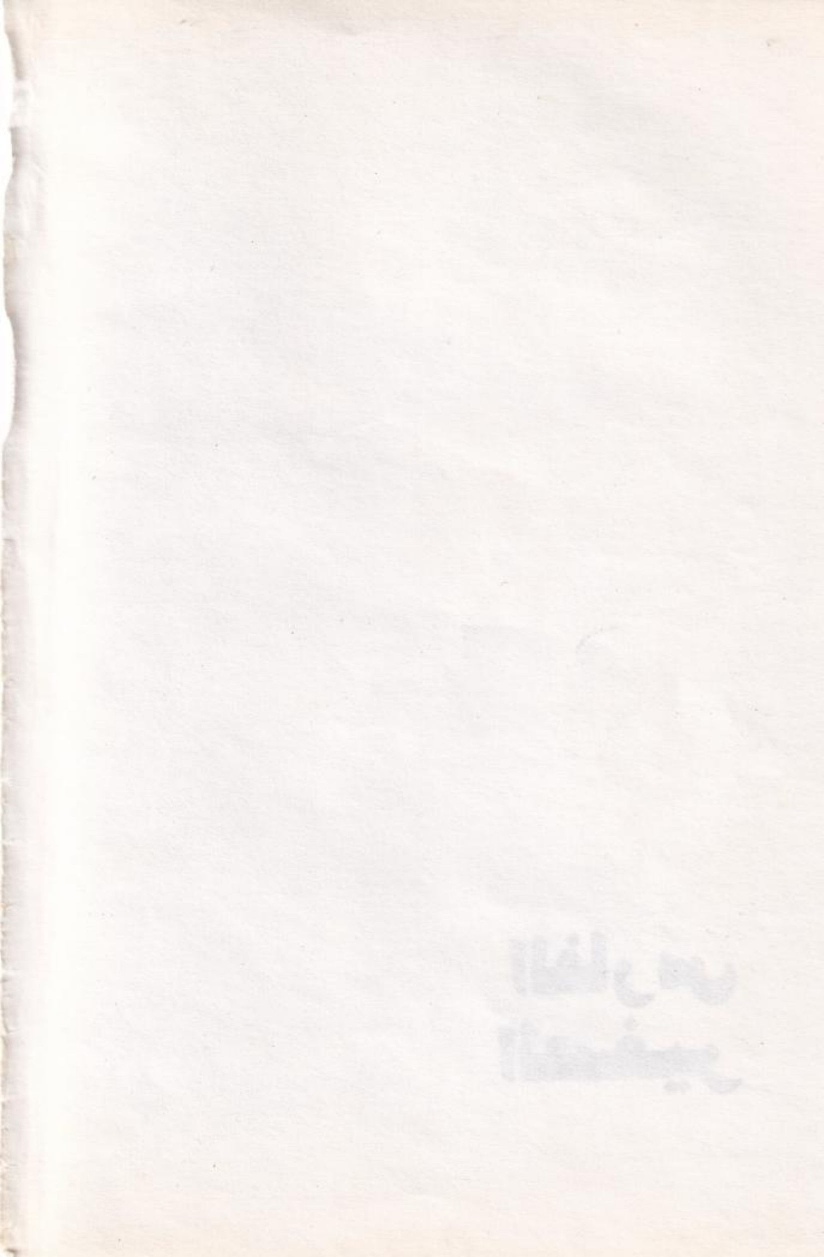
ترجمة : ستار زيارة

الفارس الصغير
تأليف اديث سي كينيون
ترجمة ستار زيارة
الطبعة العربية الاولى ١٩٩٠

الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
العراق بغداد - بريد ٨ شباط ص . ب ٨٠٤١
سلسلة روايات عالمية للفتيان

تصدر عن دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

الفارس
الصغير



الفصل الأول



فرسان السيف الذهبي

- «هيا ياويلفريد ، ماما ستروي لنا قصة .

- «مرحى !» .

صاح ويلفريد الصغير .

«أنـا آتٍ ، ولكن ساعـديني في ربط الحصان . هـل ستساعدينني ياكوني ؟

أسرعي» .
ـ «حسناً لاتتحرك من مكانك إذن . هوووو .....» .
قالت كوني وهي تربّت على ظهر الحصان ، وتولّت مرةً أخرىٰ دور السائق .
ـ «كن طيباً أيها الحصان ، واهدأ الآن» .
ثم أمسكت بالحصان ـ الدمية من أجراسه الجميلة الرنانة التي تزين صدره .
وراح الصغيران يعدوان خارجيِن من غرفة النوم ، لينزلا السلالم العريضة إلى غرفة الَجلوس في الطابق الأرضي .
السيدة (كليفورد) ، وهي امرأة جميلة المظهر رقيقة ، جلست على كرسي واطىء بجانب الموقد ، ورأسها مستقر على يدها .
كانت في هذه اللحظة ، تفكر بحزن بالغ في زوجها الذي اضطر إلى السفر ، بسبب صحته السيئة ، الى مدينة (كان) الفرنسية .
وبدت ابتسامتها أقل بريقاً من المعتاد ، حين التفتت إلى ولديها قائلة :
ـ «أرى أن جين قد أبلغتكما رسالتي» .
ـ «نعم يا أمي» . قال ويلفريد وأضاف :

«نحن كان ...»

ـ «نحن كنا ياويلفريد ، وليس كان» .

ـ «معذرة . أجل يا أمي . لقد كنا منهمكين نلعب مع الخيول ، ولكننا سررنا بالمجيء إليك» .

وألقى الفتى الصغير ذراعه حول عنق أمه ، وضغط وجهه المتورد على خديها الناحلين الشاحبين .

ـ «انك تبكين ياماما» .

همست كوني ، وقد طفرت الدموع من عينيها .

ـ «لاتهتمي بذلك ياعزيزتي ، لن أبكي بعد الآن مادمتما معي» .

ـ «ولكن ماسبب هذا البكاء ياماما؟» .

صاح كل من الصغيرين بتضرع .

ـ «أمكما المسكينة ، كانت تفكر بأبيكما العزيز ، وتتمنى أن تكون معه الآن» .

قالت السيدة كليفورد بأسىً .

ـ «أمنا المسكينة» .

ردّد الصغيران هذه العبارة وهما يقبّلانها بحب ولهفة .

قال ويلفرير :

ـ «ألايمكنك الذهاب إليه يا أمي ؟ . ولو مدة قصيرة ؟» .

ـ «أوه ياويلفريد ، كيف نستغني عن ماما ؟» .
قالت كوني .
ـ «أعرف أن ذلك سيكون صعباً جداً ، ولكن ..» .

قال ويلفريد ، وهو ينظر الى أمه بأسى ، ويفكر بحزن الأمهات اللواتي لايستطعن تحقيق مايتمنين .

لقد أرهق السيد كليفورد ، أبوهما ، نفسه بالعمل ، وذلك أضرّ بصحته كثيراً ، ففرض الأطباء عليه الراحة التامة ، والإقامة المؤقتة في مدينة (كان) ، لذلك رحل على الفور ، تاركاً السيدة كليفورد ، زوجته ، للعناية بأطفالها الثلاثة في المنزل ، وتولي شؤون عمله .

ومع ذلك ، فقد جاء بريد ذلك الصباح بأخبار سيئة حول صحة الزوج ، وتمنت السيدة كليفورد . عندئذ أكثر من أي وقت آخر ، أن تكون قادرة على الذهاب إليه . فكانت ، لذلك ، منشغلة طوال اليوم ، تحاول ان ترتب كل شيء استعداداً للسفر ، فيما لو ساءت صحة زوجها أكثر .

وبعد أن انتبهت الى أنها لم ترَ ابناءها منذ الصباح الباكر ، أرسلت المربية (جين) في طلبهما لكي يأتي إليها ابناها الكبيران ، ويلفريد وكوني ، فتروي لهما قصة قبل موعد النوم .

ـ «ولكننا لن نتحدث عن ذلك الآن» .

قالت الآن بمرح أكثر ،

«فنحن لانعـرف مطلقاً مـايمكننـا أن نفعـل ، حتى يستدعي الواجب .

لقد وجدت لكما قصة جميلة يا أبنائي» .

ـ «أوه ياماما ؟. عن ماذا تتحدث هذه القصة؟» .

صاح الصغيران معاً بسرور .

ـ «انها تتحدث عن فارس شجاع يدعى دايودون» .

ـ «وتتحدث أيضاً عن الأسد والنمر ؟» .

سألها ويلفريد ، وقد ثبّت عينيه الداكنتين الكبيرتين على وجه أمه بتركيز .

ـ «كلا ... كلا» .

قالت الأم مبتسمة

«ولكن هناك في القصة تنّين مرعب جداً» .

ـ «أوه ! هذا جيد . احكيها لنا أرجوك ياماما» .

قال ويلفريد بانفعال ..

ـ «يحكى أنه كان هناك في قديم الزمان»

هكذا بدأت أمه القصّة وأضافت :

«رجـال طيبون يسمـون أنفسهم (فرسـان السيف الذهبي) ، عاشوا معاً في جزيرة رودس ، ربطوا أنفسهم

بعهد يقضي بمساعدة الفقراء ، وحماية النساء ، والدفاع عن اليتامىٰ ، ونجدة الضعفاء والمساكين .

وقد أقسموا ، أيضاً ، على أن يطيعوا (الزعيم الكبير) ، وهو الفارس المختار من قبلهم جميعاً ليكون رئيساً على جماعتهم . وكان كل فارس من هؤلاء الفرسان يرتدي رداء أسود ، يتصدّره سيف ذهبي صغير ـ وهو شعار الجماعة ـ رمزاً لقوتهم وطيبتهم .

وحيثما كان هناك أناس معوزون أو محتاجون إلى مساعدة ـ مهما كانت ـ بسبب مرضٍ أو ظلم أو اضطهاد ، أو أي نوع من أنواع المصاعب ، فان هؤلاء الفرسان الطيبين سيهرعون الى مساعدتهم ، ويؤدون مايستطيعون فعله من أجلهم .

وكان على الفرسان أحياناً ، أن يقاتلوا ، فهم محاربون أشداء .

وحين يفعلون ذلك ، فانهم يرتدون بدلات الفرسان المدرعة ، بدلاً من أرديتهم السود ، ولكن البدلات المدرعة تحمل أيضاً شعار الجماعة ، السيف الذهبي ، كي لاينسوا من يكونون ومن يخدمون» .

سكتت السيدة كليفورد برهة قصيرة .

ـ «أوه ، استمري ياماما من فضلك» .

صاح ويلفريد .
«انك لم تصلي بعد إلى التنّين» .
ـ «وفي مكان غير بعيد عن المكان الذي عاش فيه الفرسان» .
استمر الصوت الرقيق الذي يحبانه كثيراً ، في الكلام .
«كان يقوم بيت كبير مهجور نصف مهدّم ، يأوي إليه ، غالباً ، الفقراء من المسافرين . وفي المستنقع الواقع أسفل التل الذي بني عليه البيت ، كان يعيش تنين ضخم ـ وهو وحش هائل ، جسمه كله مغطى بحراشف قوية ضخمة . وقد اعتاد هذا التنين على أن يخرج من المستنقع ويلتهم الماشية والأغنام ، حين تنزل الى الماء لتشرب منه ، حتى أنه كان يلتهم بين حين وحين راعياً صغيراً مسكيناً ، وكان المسافرون والمارون على هذا الطريق ، في خطر كبير .
وقام الفرسان الطيبون ، المرة بعد المرة بمهاجمة التنين وحاولوا قتله ، ولكن حين يفعلون ذلك في كل مرة ، يشتد بالتنين الغضب الجامح ، بحيث يندفع مهاجماً إياهم بعنف وضراوة ، وكان في كل مرة ، تقريباً ، يقتل الفارس الذي يحاول قتله» .
ـ «عجبًا ياماما !. أي تنّين رهيب هذا !» .

صاح الصغيران ، مقاطعين أمهما ، ثم ناشداها أن تكمل القصة .

- «وهكذا - في االنهاية - قال الزعيم الكبير : انه لن يخرج الفرسان بعد الآن لمنازلة التنين . ولم يحاولوا أن يقتلوه بعد ذلك»

- «ولكن ياماما ، ماذا عن الرعاة الصغار المساكين؟» .

- «نعم ، انه لمن المحزن التفكير بالخطر الذي هم فيه» .

واصلت السيدة كليفورد حديثها

«وهكذا ظهر الأمر لفارس شجاع يدعى (دايودون دي غوزون) . فهو لم يحتمل التفكير بأن يترك التنين ليفترس كل المخلوقات المسكينة التي تقع تحت متناول يده . وفضلاً عن ذلك ، فانه ابتكر طريقة جيدة لقتل التنين ، لذلك عزم على تنفيذها ، على الرغم من أمر الزعيم الكبير القاضي بعدم منازلة التنين .

لقد اكتشف (دايودون) ان جزءاً واحداً من جسم الوحش الضخم لم يكن محمياً بالحراشف السميكة ، لذلك كان الوحش يبعد هذا الجزء عن كل سيف أو رمحٍ ينطلق نحوه .

وهكذا فكر الفارس ، انْ هو استطاع جعل الحيوان يدور حول نفسه ، لتمكن من توجيه طعنة نحو الجزء غير

المحمي ، وعندئذ ينجح في قتله .

لذلك ، أخذ معه عدداً من الكلاب ، وحاول أن يدفعها لمهاجمة التنين ، ولكن ليس هناك كلب في المنطقة كلها ، يريد الاقتراب من المكان الذي يعيش فيه التنّين . حتى ان حصان دايودون نفسه لم يتقدم إلى ذلك المكان» .

ـ «وماذا فعل ياماما؟» .

ـ «سأخبركما . ذهب دايودون إلى بيته الواقع على مسافة بعيدة من هذا المكان ، وصنع دمية كبيرة تشبه التنين ، وملأها بالطعام ، وجعل الدمية تستدير ، اذا هوجمت من جانب واحد ، كما لو كانت تتجه نحو أولئك الذين يهاجمونها . ثم درّب عدداً من الكلاب على مهاجمتها بعنف وجعلها تستدير ، بعد أن نثر فوق الدمية شيئاً من الطعام لتأكله الكلاب . ثم درّب حصاناً قوياً ليحمله قريباً جداً من التنين ، في كل مرة يتم فيها دوران الحيوان ،

بعد ذلك ، وحين صار الحصان والكلاب معتادين على أداء الخطة ، اصطحبهم معه إلى جزيرة (رودس) ، وأطلق الكلاب لمهاجمة التنين الحقيقي» .

ـ «أرجوك ياماما ، واصلي الحكاية» .

صاح الصغيران معاً .

ـ «وخرج التنين من المستنقع» .

واصلت أمهما الحكاية .

«وهاجمته الكلاب بضراوة ، في حين اعتلىٰ دايودون صهوة جواده بسرعة ، وتماماً ، حين جعلت الكلاب الوحش يدور ، أغمد السيف في جسمه ، وقتله في الحال» .

ـ «رائع !. أليس شجاعا ياماما ؟» .

صاح . ويلفريد .

ـ «انه ذكي أيضاً» .

قالت كوني ، وأضافت :

«نعم ، لقد كان ذكياً» .

ـ «وهكذا ظن الفرسان الآخرون . فامتدحوه كثيراً ، وحملوه على أكتافهم إلى الزعيم الكبير ، وقالوا : ان دايودون قتل التنين ! .

دايودون الشجاع قتل التنّين !» .

ـ «ألم يكن الزعيم الكبير مسروراً ؟» .

قال الصغيران بصوتٍ واحد .

ـ« كلا . لم يكن الزعيم الكبير راضياً عن دايودون» .

قالت أمهما ببطء

ـ «لم يكن راضيا ؟!. عجباً !» .

وأوشك ويلفريد أن يبكي .

- «لم يكن راضياً ؟. لماذا؟» .
سألت كوني .
- «قال الزعيم الكبير : ان دايودون غير جدير بحمل شارة الجماعة ، فرسان السيف الذهبي ، تلك الشارة التي تعني أنهم مطيعون لزعيمهم أولاً ، وأبلغه أنه ينبغي له ألّا يكون فارساً بعد الآن !» .
- «ياللعار !. كيف يمكن ذلك ؟. كيف يفعل ؟» .
قال الصغيران بصوت واحد .
- «قال الزعيم الكبير ، ان دايودون أهمل الواجب الأول لأيّ فارس . فما هو الواجب الأول ؟» .
لم يستطع الصغيران ان يتكلما . فقد كان دايودون شجاعاً . وكان قد تقدم لقتل التنين دفاعـاً عن الرعـاة الصغار المساكين ، والمسافـرين والمارّة . هـذا ماقـاله الصغيران .
- «ولكنه أهمل الواجب الأول وهو : الطاعة» .
قالت الأم وأضافت :
يجب ان تتذكرا أن جميع الفرسان قد أقسموا على أن يطيعوا زعيمهم الكبير ، والزعيم الكبير قد منع أيّاً منهم من القيام بأية محاولة أخرى لقتل التنّين» .
- «ولكنه ياماما ، قتله بخطة جميلة !»

صاح ويلفريد .

ـ «ليس «مهمّاً ، فقد كان عملاً يدل على عدم الطاعة» .

ـ «ولكنه كان شجاعاً ياماما !» .

ـ «ليس مهمّاً ، فقد كان غير مطيع» .

ـ «ولكن ، أكان خطأً منه أن يقتل التنّين الذي آفترس الناس المساكين ؟» .

سألها ويلفريد .

ـ «انه عمل طيب وشجاع ، لو كان دايودون مطيعاً» .

ـ «ولكن ياماما !... استمري من فضلك» .

قالت كوني واضافت :

«أخبرينا بما حدث للفارس الشجاع العزيز الذي كان غير مطيعٍ نوعاً ما» .

ـ «حسناً أيها العزيزان ، سأكمل لكما القصة ، ولكن يجب أولاً أن أصحح افكاركما . يجب أن نكون صادقين صريحين دائماً ، فنسمي الخطأ بأسمه الصحيح . فليس هناك شيء اسمه غير مطيع قليلاً أو نوعاً ما . اما أن يكون دايودون مطيعاً تماماً ، أو يكون غير مطيع على الإطلاق . فأيهما تختاران لدايودون ؟» .

ـ «افترض انه غير مطيع» .

قالت كوني على مضض ، وأردفت :

«ولكنه شجاع أيضاً ياماما» .

- «نعم ، لقد كان شجاعاً مثلما كان غير مطيع . كان على صواب في رغبته في أن يغامر بحياته لإنقاذ حياة الآخرين . ولكنه كان على خطأ في أن يكون غير مطيع لأمر الزعيم الكبير . والناس ، مثل دايودون غالباً ، مخطئون جزئياً ومصيبون جزئياً . ولكن الصواب لايبطل أو يلغي الخطأ . ومع ذلك ، سأواصل رواية القصة .

حين راح الفرسان يمتدحون دايودون على عمله البطولي الشجاع ، أوقفهم الزعيم الكبير ، وتحدث إلى دايودون قائلاً بصرامة : نعم ، انك بطل شجاع ، وبالشجاعة تُعرفُ الفروسية :

لقد كنت شجاعاً حقاً . ولكن قل لي : ماهو الواجب الأول للفارس الذي يحمل على صدره شارة السيف الذهبي ، ويزين بها بدلته ؟.

وآصطبغ وجه الفارس باللون القرمزي ، وأجاب وهو ينحني إلى أسفل قائلاً :

الفارس الذي يحمل السيف الذهبي بحق ، يجب أن يكون مطيعاً .

فقال الزعيم الكبير :

«نعم ،

الشجاعة صفة الجريء ،
ولكنها صفة الفارس
حين تمتزج بالطاعة .
لقد علمنا السيف الذهبي
ان الواجب الصعب الانجاز
هو أن نتخلّى عن رغباتنا الذاتية .
ومهارتك جعلتك تتيه بزهو المجد ،
بعيداً ، اذن ، عن بصري
ومن يترفّع عن ولائه لجماعته ،
لن يحمل شارتها على نحو صحيح .»

وتفجرت من الحشد صرخة غضب ، حين لفظت هذه الجملة الأخيرة . لقد كان الفرسان في حالة رهيبة . في الوقت الذي ينبغي عليهم تكريمه .

ولكن دايودون ، حنىٰ رأسه بخضوع ، وطرح رداءه الأسود جانباً في صمت ، وتناول يد الزعيم الكبير وقبلها ، ثم خرج من القاعة في هدوء .

ولكن !. في هذه اللحظة ناداه الزعيم الكبير بسرور ليعود ، قائلاً له :

«تعالَ لتعانقني أيها الابن النبيل .
فلك تميل الروح .

احمل السيف الذهبي ، فانك جدير به حقاً ، بخضوعك وسيطرتك على ذاتك» .

ـ «ماذا قصد بهذا ياماما ؟» .

سألت كوني أمها .

ـ «قصد أنه بتغلبه على ذاته ، وطاعة أوامر جماعته بخضوع ، أثبت أنه كان مطيعاً في قلبه ، وان دايودون تغلب الآن على غروره وروحه المتغطرسة المتمردة» .

ـ وصار دايودون ، اذن ، فارساً حقيقياً في النهاية ؟» .

ـ «نعم ، صار فارساً نبيلاً حقيقياً» .

ـ «سأكون أنا أيضاً فارساً ياماما» .

قال ويلفريد بوقار ، وأضاف !

«سأكون شجاعاً ومطيعاً أيضاً» .

ـ «يجب أن تطلب من الله أن يساعدك» .

همست أمه .

ـ «نعم . انني أتساءل الآن ياأمي العزيزة : من سيكون زعيمي الكبير إذا صرت فارساً !؟» .

لم تتكلم السيدة كليفورد ، وهكذا واصل ابنها الصغير كلامه :

«أتمنى ان اكون فارساً شجاعاً رحيماً طيباً» .

ـ «حتماً» .

- «يمكنك ياماما أن تكوني زعيمي الكبير» ،
ولكنه مفكراً بعمق
«ولكنك سيدة ، ولا أعتقـد أن السيدات يمكنهنّ أن يكنّ زعماء كباراً للفرسان» .
- «كلا ياعزيزي» .
قالت أمه ضاحكة .
- «ولاحتّى بابا ، لأنه سافـر الى (كان) ، ولا أستطيـع الانتظار حتّى يعود» .
ثم قوطعوا بدخول (جين) المربية ،لتقول ان موعد نوم الصغيرين قدحان .
- «أريد أن أبقى أكثر قليلاً» ،
قالت كوني .
- «نعم ياماما» .
هتف ويلفريد .
«لم ننته بعد من التحدث عن القصة الجميلة» .
- «ولكن يجب ان تذهبا إلى النوم ياعزيزيّ . سنتحدث عنها مرةً أخرى غداً . والآن هيا ... يجب ان تذهبا . المربية تريدكما» .
- «ولكن ياماما ، لا أرى أية فائدةٍ في أن تأخذنا المربية الى النوم في هذا الوقت» .

قالت كوني معترضة .
ـ «إنه تقليد قديم مرعب ، وعادة مقززة» .
انفجـر ويلفريـد ، وصار وجهـه الصغـير شـديـد الاحمرار ، وأضاف :
« اننا كان .... أعني أننا كنا سعيدين معك ياماما ، والمربية دائما تفسد الأشياء هكذا بطريقتها» .
ـ «ويلفريد .. انني خجلة من سلوكك هذا» .
قالت أمه .
«المـربية تطيـع أوامري فحسب . وقـد قلت لها أن تؤويكم الى الفراش في الساعة السابعة من كل ليلة . ومن الذي قال إنه عازم على أن يكون فارسا صغيراً ، ومع ذلك فقد أهمل الواجب الأول لأي فارس ؟.» .
وامتلأ صوتها بالأسف .
ـ «إنني آسف حقا ياماما» .
قال ابنها الصغير بسرعة .
«تعرفين أنني نسيت تماما أنه ... أعني أنني لم أبدأ حتى الآن . سأبدأ الآن . سأذهب» .
ثم ذهب ، ومن دون أن يلتفت وجهـه الصغير مـرةً أخرى إلى المكان الجميل بجانب أمـه ، وتمسّك بـروح الفروسية إذْ أظهر تهذيبا كاملاً نحو المربية ، حتى أنه

جعلها موضع ثقته حين أخبرها بأجزاء غير مترابطة من القصة ، وهو يخلع ملابســه . وعلى الـرغم من أن هذه الأجـزاء صحيحة ، الا أنّ المـربية لم يكن يهمهـا ذلك كثيراً ، قدر اهتمامها بأن يكون ولداً طيباً مطيعاً ، ويأوي الى السرير من دون تذمّر .

وحين جاءت أمه ، كعادتها كل ليلة ، لتغطيه وتقبلـه قبلة المساء ، رمىٰ بذراعيه حول عنقها قائلاً :

ـ «ماما ، انني أحاول أن أشبه الفارس دايودون نـوعاً ما» .

ـ «ذلك هو ابني الرائع» .

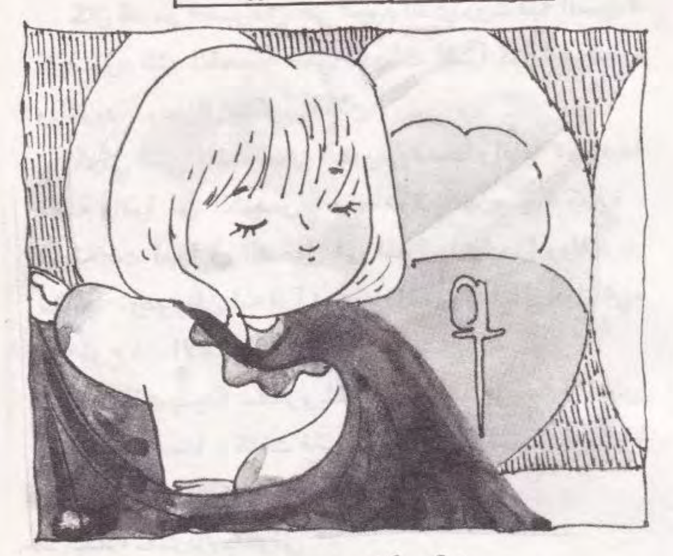
قالت أمه مقبلة اياه .

«تصبح على خير أيها الفارس الصغير» .

ـ «تصبحين على خير يا أمي العزيزة . لقد جعلتني الآن سعيداً ، إذْ ناديتني باسم الفارس الصغير» .

وحالما خرجت أمه ، غطّ ويلفريد في النوم ، وهكذا لم يفكر مزيداً تلك الليلة بالفارس دايودون دي غوزون .

الفصل الثاني



غلطة كوني

- «سأكون فارساً» .

قال ويلفريد لنفسه ، متطلّعاً فيما حوله ، ليرى ما الذي يلائم الفروسية من عالمه الصغير .

كانت أمه جالسة على كرسي الحديقة تحت شجرة التوت الجميلة عند أحد طرفي الممر ، تقرأ في كتاب ،

وتنظر ، بين حين وحين ، عبر الممر حيث كانت المربية تدفع الطفل بتأنٍّ في عربته .

كان قد مرّ اسبوعان على اليوم الذي روت فيه السيدة كليفورد تلك القصة التي أحدثت أثراً كبيراً في ذهن ويلفريد ، ومازال يفكر بها كثيراً .

كوني التي كانت تمشي الهوينىٰ ذهاباً وإياباً ، وبيدها مظلة واقية من الشمس ، متظاهرة بأنها سيدة كبيرة ، استأذنت أمها في الدخول الى المنزل ، وتبعها ويلفريد متأنّياً ، وهو يظن أنه قرأ في عينيها تصميماً على عمل شيء فيه نوع من الأهمية ..

كم كانت بدينة ـ فكر ويلفريد ، مراقباً جسمها المتكوّر وكانت ـ حسناً ، كانت فاترة الهمّة نوعاً ما ، ولكن ربما الآن ، وأخيراً ، كان لها هدف نبيل الصورة .

ـ «بماذا تفكرين ياكوني ؟»

سألها مباغتاً أخته لحظة وصولها الى البيت تماماً .

ـ «بشيء ما يتعلق بتلك القصة» .

ردّت ببطء ، وأضافت :

«قصة فرسان السيف الذهبي . لا أستطيع طردها من رأسي . أريد أن أكون (فارساً) ، ولديَّ فكرة لذلك !» .

فرك ويلفريد يديه في سرور . كانت كوني كذلك مشبعة

بطمـوحات نبيلـة . وأحس ويلفـريـد أنهمـا شقيقـان حقيقيان . فكوني كانت مثله ، وكان هو مثل كوني .

- «نعم ، أعرف انك ستكون مسروراً» .

قالت كوني وهي تومىء برأسها بابتسامة رضا .

«انتظرْ قليلاً في الصالة ، ثم ادخل إلى غرفة المطالعة . والآن لاتأتِ الاّ بعد عشر دقائق ، ويجب أن تعدني بذلك» .

وعدها ويلفريد بلهفة عظيمة ، ثم قضّى عشر دقـائق مضجرة ، عدّها بوساطة ساعة الصـالة ، وهـو يرفس باعقاب قـدميه عـلى أرضية الحجـرة ، متلهّفاً لمعـرفة ماتسعى كوني إلى فعله .

ثم بلغت الدقائق العشر نهايتها ، ثم انطلق بفرح غامر الى غرفة المطالعة .

نظر الى الداخل ، بعد أن فتح الباب ، فرأى كوني ، وهي تتبختر جيئةً وذهـاباً ، وقـد التفّت برايـةٍ سوداء يعلوها سيف أصفر . كانت الرايات مكـدسة في غـرفة الدراسة ، بعد انتهاء المهرجان السنوي للمدينة ، لكي ترممّ وتحفظ حتى مهرجان السنة المقبلـة . لقد عثـرت كوني على إحدىٰ هذه الرايات ، متصوّرة أنها تصلح لأن تكـون رداءً كالأرديـة التي يستعملها فـرسان السيف

الذهبي .

كان ذلك اسلوباً جديداً لمعالجة القصة والتعامل بها .

وبدا ويلفريد متشككاً .

ـ «ولكن ياكوني !، لا أستطيع أن أتصور ماذا كان يلبس الفرسان ، كمالا أعرف ما يفعلون» .

قال وأضاف :

«في الأقـل ، أعني أنني أرغب في أن أفكـر بمعنى السيف ، ولكن .....» .

ـ «أتظن أنني أظهر بمظهر حسنٍ في ملابسي ؟»».

قاطعته كوني التي لم تكن تصغي إليه ، وحاولت أن تنظر إلى نفسها في المرآة .

«اتظن أنني استطيع أن أكون فارساً جيداً ؟» .

وأحس ويلفريد كما لو أن قصته الجميلة قد مرّغت في الوحل ، ولُطّختْ بأفكار عادية مبتذلة .

ـ «كلا ، انك لاتظهرين بمظهر حسن على الإطلاق» .

صاح بنزقٍ وانفعال .

«انك تبدين تماماً مثل المرأة العجـوز البدينـة التي تطوف وهي تبيع القدور . انك أسمن ممّا يمكن !» .

ثم استدار وركض مبتعداً .

وفـاضت عيناكـوني بالـدموع . مـا أسـوأ طبـاع

ويلفريد .

حين كانت أمها تروي القصة ، بدالها أن الفرسان لابد أن يظهروا بمظهر جميل مدة وجيزة .

أوشك ويلفريد يرمي بنفسه بين ذراعي أمه التي دخلت الآن الى البيت .

ـ «أوه يا أمي العزيزة ! إن كوني حمقاء جداً» .

قال لاهثاً .

ـ «صه ! صه !. لاتكن قاسياً ياعزيزي» .

ـ «ولكن هذه حقيقة ياماما ، انها تشبه الغراب الذي غطّىٰ نفسه بريش الطاووس ، ثم راح يتبختر ظانّاً أنه طاووس» .

ـ «ماذا فعلتْ ؟» .

ـ «تعاليْ لتريْ» .

جرّ ويلفريد أمه إلى غرفة الدراسة ، ولكن حين فتحا الباب لم يريا كوني الصغيرة تمشي متبخترة ، بل رأيا جسمها الصغير مرمياً على أرضية الغرفة بجوار الراية السوداء . كانت كوني تبكي بمرارة .

ـ «لقد كان ويلفريد فظّاً» .

قالت باكية وقد رفعت رأسها حين رأت أمها .

«انه حقاً ولد سيء !» .

- «ماذا فعلت ياويلفريد ؟».
سألته السيدة كليفورد .
حنى ويلفريد رأسه .
- «أخبرني على الفور» .
- «قلت انها لاتشبه الفارس ولو قليلاً ، وانها كذلك فعلاً» .
صاح ويلفريد .
- «كلا ياويلفريد» تعرف أن ماقلته كان أسوأ من ذلك ! .
قلت انني أشبه ...» .
وبكت كوني .
«أشبه بائعة القدور .....» .
ثم بكت مرة أخرى .
« ... العجوز السمينة ... لقد قلت هذا !» .
قالت كوني وانفجرت بالبكاء .
- «انك لست مثل الفرسان ياويلفريد» .
قالت أمه .
واحمرّ وجه ويلفريد بشدة ، وقال بصوت خفيض :
- «لقد لفّت الراية حول جسمها ياماما ، فظهرت سمينة ... سمينة جداً !» .
فقالت أمه وهي ترفع الراية ممسكة بها بهدوء .

ـ «كوني ، هل بلغت من الحمق ما يكفي لتظني ان هذه الخرقة المطرّزة بسيف تجعل منك شبيهةً بالفرسان ؟» .

ـ «مثل أحدهم» .

قالت كوني باكية .

ـ «انك لاتتصورين مطلقاً ياكوني ، ماذا يعني شعار السيف ، والّافانك لن ترتديه من أجل اللعب أو الفرجة» .

قالت أمها بأسف وأضافت قائلة :

«الملابس لاتصنع فرساناً . ألاتذكرين القصة التي تقول : ان حماراً حصل ذات مرة على جلد أسد ميت ورأسه وأظافره ، ووضعها كلها على جسمه ، وهكذا غطّى نفسه تماماً ، ثم دخل الى الغابات ، متصوراً أنه سيعترف به أسداً . ولكن الحيوانات اكتشفت الحيلة .

وذات مرة غطّى ذئب نفسه بجلد شاة وتسلل فيما بين قطيع من الغنم ولكن القطيع سرعان ما اكتشف أنه ذئب» .

ـ «وان طاووسا ....» .

قال ويلفريد مقترحاً .

ـ «انني اعرف تلك القصة القديمة» .

قالت كوني بسرعة .

«ولكن ياماما .. من الطبيعي انني اعرف أن ارتداء

الراية لن يجعل مني فارساً ، ولكنني تصورت أنه يجعلني شبيهة «بواحد منهم» .

- «شيء حسن ان تحاولي وتكوني مثل فارس» .

قالت السيدة كليفورد .

«ولكنني عائدة الى الحديقة الآن ، فقد جئت فقط لأرى لماذا تركتماني .

أظن انني طلبت منكما أن تبقيا في الحديقة» .

- «نعم ياماما ، لقد نسيت تماماً !» .

هتف ويلفريد معبراً عن توبته ، متذكراً ما يجب أن يكون عليه الفرسان المطيعون .

وخمنت أمه مايدور في رأسه من أفكار ، فقالت له :

- «ألاتظن ياويلفريد ، ان الفارس الحقيقي سيعبر عن أسفه ، حين يجد أنه جرح مشاعر فتاة صغيرة ، حتى وإن كانت قد تصرفت على نحوٍ مخطيء ؟» .

- «أنا آسف تماماً ياكوني» .

قال ويلفريد .

«انك ست ...» .

وتردد في مواصلة الكلام ، ثم أضاف بسرعة كما لو ان صراعاً خاطفاً

قد انتهى :

«ستنالين الدور الأول حين نطلق طائرتنا الورقيـة في المرة المقبلة ، حين تهب ريح !» .

ـ «أحقاً ؟» .

قالت كوني بسرور .

«ذلك فضل منك ياويلفريد لن أنساه» .

ولكن ويلفريد شعر بثقة كبيرة ، أنها ستنسىٰ .

الفصل الثالث



الفارس الصغير يقاتل

بعد ساعة من ذلك ، راح ويلفريد يسير وحده حول الحديقة ، يداه في جيبيه ، وعلى وجهه الصغير الجاد ، ارتسم تعبير وقور جداً .

أما كوني فقد تعبت من اللعب ، وراحت الى أمها الجالسة تحت الشجرة .

وبينما كان ويلفريد يتجول هناك ، أخـذ يفكر مـرة أخرىٰ بدايودون فارس السيف الذهبي .

أفي يومٍ مثل هذا اليوم ـ تسـاءل ويلفريـد ـ ذهب دايودون وحده ليقتل التنّين ؟ .

أكـان ماضيـاً إلى ذلـك بسرور ، شـاعـراً بـالنصر الأكيد ؟ .

أم كان منزعجاً قليلاً بفكرة كونه غير مطيع او مخالفاً بمضيّه في تنفيذ خطته ؟

ـ «ولكنه كان شجاعاً جداً ... جداً ، ورجلاً ممتازاً مـع ذلك .، أمي تقول ذلك » .

قال الفتى الصغير لنفسه .

و ... و ... انني اتمنّىٰ أن أكون مثله ، ولكن ليست لدي فرصة لذلك . لايمكنني أن أقوم بعمل شجاع ، لأنه لا أحد يريد عملاً شجاعاً أو يحتاج إليه» .

وتنهّد ويلفريد ، لقد تشوشت الصور عنده واختلطت مثلما تختلط أفكاره عندما يشعر بالحيرة والارتباك .

لقد قام بعدة محاولات ليكون (بطلاً) منذ اليوم الذي روت فيه أمه تلك القصة ، ولكن محاولاته كلهـا لم تكن ناجحة جداً .

فذات يوم ، سقط أخوه الصغير على رأسه في المغطس ،

وهو مملوء الى نصفه بالماء الساخن ، فغـاص ويلفريـد وراءه ، من دون أن يخلع حذاءيه ، فأخرج الطفل وهو يشعر بزهو النصر ، لذلك أطرته المربية ليقظته وحزمه ، ونسيت أن توبّخه على إفساده حذاءيه .

ولكن على الرغم من أن ويلفريد ، قدّر بعناية عمق الماء في المغطس ، وحاول أن يعتقد ــ وهو الآن خارج المغطس في أمانٍ بالطبع ــ ان هناك من الماء «ما يكفي لقتل طفلٍ غرقاً» ، لولم يكن منتبها له ، الاّ ان ويلفريد لم يقرر حقاً انـه كان كـذلك ، حتى أن المـربية لم تخبـر أمه بهـذا الحادث . وبدا عليها أنها تفكر بأنها حادثة تافهة جداً ، على الرغم من أنها أطلقت عليه لقب : «الفتى الشجاع» .

ــ «ولن أستطيع إذنْ إنقاذ كوني» .

قال لنفسه .

«انها سرعان ما تخاف ، وهي تأخذ حذرها ، في أي ظرف ، من أن تقع في مشكلة أو خطر . وهي ضـاحكة دائما ، أيضا ، الاّ حينما تبكي . ثم انه ليس هناك من خطر فعلي . لست ادري اذن ، كيف أستطيع أن أكون فارسا» .

ثم راح يتمشىٰ ببطء نحو بوابة الحديقة ، بينما كان يناجي نفسه على هذا النحو . وفي هذه اللحظة ، رأى في

الممر الضيق صبياً ريفياً صغيراً مسكيناً يبكي بحرقة ، ذلك أن فتى أكبر منه كان يضربه بلا رحمة .

هنا ، والآن ، جاءت فرصة للفروسية . وفي لحظة فتح ويلفريد بوابة الحديقة بسرعة ، وألقى بنفسه على الفتى الذي كان - في الأقل - أطول منه وأكثر قوة ، وصرخ بالفتى بغضب :

- «إنك جبان ، إذْ تؤذي صبياً صغيراً مثل هذا ، وبهذه الطريقة . خذ هذه ، وهذه ... وهذه ..!» .

وضربه بقبضتيه الصغيرتين الصلبتين بعنف شديد ، بحيث ان الفتى تراجع ، وتقهقر الى الوراء بضع خطوات ، وهو ينظر فيما حوله بذهول .

وقف ويلفريد في مواجهته ، وقبضتاه مضمومتان ، وقد دفع رأسه إلى الخلف ، ليرى على نحو أفضل أين يضرب الضربة اللاحقة . كانت قبعته قد سقطت ، وراحت خصلات شعره الذهبية تلتمع في ضوء الشمس . وصرخ مرة أخرى :

- «جبان ! . إذْ تؤذي طفلاً صغيراً جداً .. جداً بهذه الطريقة !» .

ولكن الفتى صحا في هذا الوقت من ذهوله . وبصيحة ضارية ، اندفع نحو ويلفريد ، وسدد الى جنبه ضربة

قاسية .

وتمايل الفتى الصغير وترنّح ، ولكنه انقضّ فوراً على خصمه ، وسدّد إليه لكمة جانبية ، بحيث ان الفتى تقهقر مرة أخرى بضع خطوات .

وعندئذ ، تماماً ، أحس ويلفريد بألم أسفل ظهره .

التفت الى الوراء ، فوجد الصبي الصغير الذي قاتل ويلفريد لنصرته ، راح يلكمه بكلتي يديه وبكل قوتـه ، ولحسن حظ ويلفريد أن هذه القوة لم تكن كبيرة جداً .

ـ «حسن» إنك ناكر للجميل» .

قال ممسكاً باليدين الصغيرتين بقوة .

«أنا أقاتل الى جانبك ، في حين أنت تهاجمني» .

وبكى الصبي الصغير بصوت عالٍ ، وانفجر الفتى الأكبر ضاحكاً ، وهو يقول :

ـ «إنه يساعدني بالطبع ، لأنه أخي . ومن تكون أنت ؟» .

قال الفتى الكبير ذلك بازدراء كبير .،

وطأطأ ويلفريد برأسه . فمن الواضح أن هذا الأخ لم يعترف بفروسيته .

ـ «يسرني انني لم أؤذِ السيد كليفورد الصغير» .

قال الفتى الأكبر ، ثم ـ ولشدة اشمئزاز ويلفريد ـ أمسك به من ذراعيه ، كما لو كان طفلاً ، وحمله قاطعاً

الحديقة ، ثم عبر الممر ليصل إلى السيدة كليفورد .

ـ «ما الأمر» .

قالت السيدة كليفورد ، فوراً ، وبصرامة شديدة لم يسمع ويلفريد أمه تتحدث بها من قبل .

ـ «اترك ابني الصغير فوراً . ماذا فعل ؟» .

وأنزله الفتى الأكبر بعناية ليقف على قدميه .

ـ «أنا وتومي ، كنا هناك ياسيدتي ، كنا نمشي في الممر الضيق ، لانفعل أي شيء ، ياسيدتي ، لأي شخص ، حين فتحت بوابتكم ، وهنا اندفع هذا السيد الصغير نحوي ، وسدّد إلى عيني لكمة ، أو في الأقل أوشك أن يفعل ، ثم حاول أن يضربني ويضرب تومي عدة مرات وعلى نحو مخجل» .

ـ «كلا ياماما ، انه يختلق القصص !» .

صاح ويلفريد ساخطاً .

«انني لم أضرب الصبي الصغير ولامرّة . بل هو الذي ضربني ، ذلك الصغير البغيض الناكر للجميل !» .

ـ «حسناً ، ان لم تكن قد ضربته ، فقد ضربتني» .

قال الفتى الكبير بغضب .

ـ «ويلفريد ، ابني العزيز ، هل كنت تتشاجر ؟» .

سألته أمه بنبرة حزينة مسّت قلب ويلفريد ، فقال هذا

مضطرباً :

ـ «ماما ، كل ما في الحكاية، هو انني أردت أن أكون فارساً ـ وهذا كان يضرب الصبي الصغير ـ فقد كان يؤلمه ياماما ، لقد فعل ذلك ، أما هذا الصغير فقد كان يبكي حقاً . اسأليه . أتريدين سؤاله ؟ . ولكن ، لافائدة من السؤال ،فهما يختلقان الأكاذيب . ماما ،لم يكن ذلك شيئاً جيداً ـ لا أستطيع أن أكون فارساً» .

وانتحب ويلفريد ، كما لو أن قلبه سيتوقف عن الخفقان ، وطوقته السيدة كليفورد بذراعهالتخفف عنه حزنه . وأحس الفتى الكبير بخجل شديد نحوهما ، ثم استدار ليمضي في طريقه ، ولكن والدة ويلفريد ، نادته بلطف ليتوقف .

ـ «أظن أن ولدي الصغير ،لديه مايقوله لك» .

ثم قالت لابنها ويلفريد :

«اذا كان سيء التعامل مع الصبي الصغير ،فهذا خطأ منه ، ولكن هذا لايمنحك الحقّ في مهاجمته كما فعلت أنت . انك تعرف ، ياويلفريد ، انه كان يجب عليك ان تتحدث إليه باحترام وأدب ، وتطلب منه أن يكون أكثر عطفاً ولطفاً مع الطفل . والآن يابني ، أنا واثقة من أنك تعرف مايجب عليك أن تفعله ؟» .

وأدرك ويلفريد أنها تريد منه أن يعتذر ، ولكنه ألقى نظرة على الفتى ، ثم هزّ رأسه بعناد .

- «هيا ياويلفريد ، إذهب إليه واعتذر» .

- «محال» .

همس بهذا الرد ، وهزّ رأسه المجعّد ببطء من جانب الى جانب ثم دفع بنفسه ليطوق عنق أمه .

- «ماما انه مثل التنين» .

قال ويلفريد وأضاف :

«وأنت لم تمنعيني من مهاجمته ، وأنا أريد أن أكون فارساً» .

- «ولكن هذا هراء ياويلفريد» .

قالت أمه ، محاولة التكلم بصراحة :

«إنه ليس تنّيناً ، بل هو إنسان مثلنا . ومادام كذلك فهو حتماً يمتلك الحق في السير على ذلك الممر من دون أن يهاجم من قبلك . انك ضربته بشدّة ، فقد رأيت آثار ضربٍ على خده .

انظر ، انه ذاهب الآن ، اتبعه وأعطه هذا الشلن ، ثم قل له انك آسف جداً ، و .....» .

- «نعم ياماما ، أسرعي والاّ لن أتمكّن من اللحاق به قبل أن يبلغ الممر» .

قـال الفتى الصغير النبيـل ، وهـو متلهّف إلى عقـد الصلح ، بقدر ماكان متلهفاً ـ من قبل ـ إلى معاقبته .

ـ «وربما يمكنك أن تطلب منه بلطف ، ألّا يؤذي الصبيّ الصغير مرة أخرى» .

ـ «سأفعل ... سأفعل» .

صاح ويلفريد ، وهو يندفع عبر ممر الحديقة .

راقبته أمه وهو يصل إلى الفتى ، ويتطلع في وجهه ، ملتمساً منه العفو . ولكنها لم تكن مهيأة تمامـاً لرؤيـة ماتبع ذلك . فقد وضع ويلفريد ذراعه حول رقبة الفتى الكبير ، وقرّب وجهه من الوجه الذي ضربه من قبل ، ثم واصلا سيرهما ، وتجاوزا الحديقة إلى الممـر الخارجي معاً .

أكانت السيدة كليفورد ، خائفة من أن يتلوث ابنهـا الصغـير بوسـاطة الاتصـال بمثـل هـذا الفتى خشن الأخلاق ؟ .

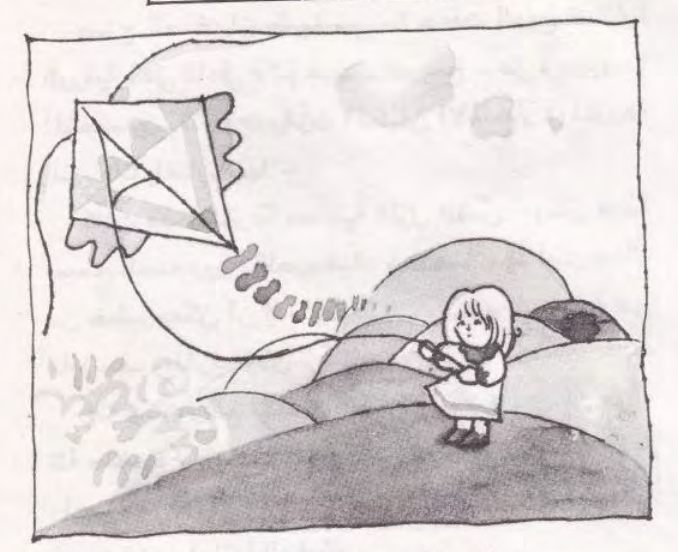
كلا ، والتمعت عيناها لحظة ، وهي تبتسم من خلال الدموع التي لم تستطع تجنّب خروجها من عينيها .

ـ «يافارسي الصغير» .

قالت لنفسها .

«يافارسي الصغير الشجاع .... إليك تميل الروح» .

الفصل الرابع



فقدان الطائرة الورقية

- «آأنت مستعدة ؟» .

- «نعم ياويلفريد ، دعها تطير» .

وركض ويلفريد أولاً بالطائرة ، وهي طائرة رائعة قام بصنعها مع كوني ، ثم أطلقها فاندفعت على الفور إلى الأعلى ، وسحبت بكرة الخيط التي كانت تحملها كوني

سحبة قوية .

ـ «أوه ، أوه ..» .

صاح الصغيران طرباً ، بينما حملت الريح الطائرة الورقية أعلى فأعلى ، ثم هبت ـ الريح ـ على وجهيهما المتحمسين المتلهفين وهزّت أغصان الأشجار في المزرعة التي كانا يلعبان فيها .

كانت هذه المزرعة محاذية لمنزل القسّ ، وكان هذا يسمح للصغيرين باللعب هناك وحدهما ، إذْ ليس هناك من خطر يمكن أن يدنومنهما ، وهذه الحقيقة هي مايؤسف ويلفريد الآن .

انه مكان رائع لإطلاق الطائرة الورقية ، إذْ إن هناك تلة صغيرة ، صعدت إليها كوني بصحبة ويلفريد الذي راح يركض حولها ويقف في طريقها نافد الصبر ،ليجعلها تسرع من خطواتها البطيئة .

ـ «ابتعد عن طريقي ياويلفريد» .

قالت الفتاة الصغيرة لاهثة ، وهي تصارع الطائرة التي أخذت تسحب الخيط بشدة أكبر من أجل الانطلاق والتحرر .

ـ «اوه ! . أسرعي ياكوني ، انزلي عن قمّة التلة ، ستطير الطائرة بعيداً جداً ، إذا تركت الخيط كله» .

ـ «انني لا أسـ ... أست ... أستطيع» .
قالت كوني لاهثة .

«الخيط يقطع كفي ، سأفلته من يدي» .

ـ «كلاكلا .. أعطني إياه إذن . سأمسك به أنا ، لاتفلتيه من يدك ياحمقاء !. حسناً انك حمقاء!» .

صاح ويلفريد وقد أفلت زمام أعصابـه ، ففي هذه اللحظة ، دفعت هبة ريح قوية ، بالطائرة بعنف شديد ، فاهتز الخيط بأشد من ذي قبل ، وحالما حاول ويلفـريد الامساك به ، أفلت من يدكوني .

وارتفعت الطـائرة ، أعـلى ، بينما وقف الصغـيران يتابعانها بانفعال شديد .

ـ «أووه ! . لم أستطع منعها من الإفلات . ولكن ألاترىٰ أنها تمضي في طيران بعيد جميل ؟» .

ـ «تلك الطائرة» .

قال ويلفريد متغاضياً عن توبيخهـا بسبب إفلاتهـا الطائرة ، في غمرة سروره بالجلال غير المتوقع لطيرانها .

«تلك الطائرة مصنوعة بطريقـة جيدة ، بحيث انني اعتقد أنها ستحلّق وتحلّق حول العالم» .

ـ «ولكن ليس إذا ارتفعت أعلى فأعلى ، أوه ! . إلى أين ستصل ؟» .

ـ « ربما ستذهب إلى الشمس» .

ـ «أو إلى القمر ؟» .

ـ «أمازلت تراها ؟» .

ـ «نعم» .

ـ «انني لا أتمكن من رؤيتها» .

ـ «كلا ، لقد اختفت» .

ـ «تماماً ؟ أهي تلك هناك؟»

ـ «كلا ... لقد اختفت» .

ورمى ويلفريد بنفسه على الأرض ودفن وجهه في العشب .

ـ «ما الأمر ؟» .

سألته كوني .

لاجواب ، فقط اهتزت كتفا ويلفريد قليلاً .

ـ «ويلفريد ، ما الأمر؟» .

وأفلت من الفتى الصغير صوت أشبه بالنشيج .

ـ «ويلفريد ، ما الامر» .

وببطء تطلع ويلفريد الى الأعلى وأجاب متنهداً :

ـ «لقد اختفت . اننا لن نرى مطلقا طائرتنا الجميلة االجديدة مرةً أخرىٰ :» .

ـ «ربما تعيدها الريح إلينا» .

قـالت كـوني مقتـرحـة ، وقـد بـدأت تـدرك مـدى خسارتهما .

ـ «كلا ، لن تعود» .

قال بسخط .

«هل سمعت من قبل ان الريح تعيد شيئا ما ؟» .

ـ «كلا . ثم اننا مجرد صغيرين ، ولم نسمع كلّ شيء حتى الآن» .

ـ «كان ينبغي عليك ألاّ تدعيها تفلت من يدك» .

قال ويلفريد ، وأضاف :

«انني نادم جداً على سماحي لك بتطييرها أولاً !. فربما كانت ماتزال لدينا ، لولم تفعلي ذلك» .

ـ «لقد وعدتني بان أطيرها أنا أولاً ، ولكنني لم أكن أعلم أنها ستكون بهذه الصعوبة» .

قالت كوني متذمرة .

«انظر إلى يدي !» .

ورفعت كفاً بضّة سمينة ، وفتحتها ، حيث كانت هناك خطوط محمرّة .

ـ «انه الخيط الذي أحدث ذلك !. ولكن يـ'كوني ، يمكنني أن أتحمل أي شيء على أن أفلتها» .

وبدت كوني شقية مثلما بدا هو قبل دقيقة أو اثنتين ،

ثم قالت :

ـ «دعنا نذهب ونخبر ماما» .

ـ «نعم» .

قال ويلفريد واثباً على قدميه ، وقد أشرق وجهه .

«سنذهب إلى ماما» .

ومضى الصغيران باتجاه البيت من دون أن يوجه أحدهما كلمة للآخر .

ولكن ، حين وصلا البيت ، تحدثا بلهفة :

ـ «جين ، أين ماما» .

قالا للمربية التي فتحت لهما الباب .

ـ «أوه جين ، لقد أفلتت كوني الطائرة ، أفلتت الخيط من يدها» .

ـ «لقد دفعتها الريح من يدي» .

صاحت كوني .

ـ «ماما لقد فقدنا طائرتنا » .

صاح الصغيران وهما يقفان قرب السلالم .

ـ «جين ، أين ماما؟» .

وبدت المربية وقوراً جداً .

ـ «لو تسمحان لي بفرصة لأجبتكما يا آنسة» .

بدأت المربية تتحدث بغموض .

- «أسرعي ياجين ، لاتسرفي في استعمال أصول المحادثة» .

قالت كوني التي سمعت هذه العبارة الأخيرة في مكان ما ، وهي تمتلك فهماً غامضاً لما تعنيه .

- «نريد أن نعرف ، أين ماما؟» .

صاح ويلفريد .

- «حسناً ياسيد ويلفريد ، إذا أردت أن تعرف» .

قالت جين وهي ترفع منديلها إلى عينيها :

«انها في غرفتها» .

- «أوه جين ! هل ماما مريضة؟» .

صاح الصغيران .

- كلا ، ليست مريضة ، ولكنني أظن أنها لاتريد منكما إزعاجها»

- «ذلك هراء ياجين ، أنا متأكد من أنها تريدنا» .

قالت كوني ، وارتعشت شفتاها حين لاحظت حزن جين .

- «نعم» .

قال ويلفريد نافد الصبر .

«هيا ياكوني» .

واندفع صاعداً درجات السلّم ، وحاول أن يدير أكرة

باب أمه كان الباب مقفلاً ، لذلك طرق عليه بقوة ، وصاح متوسلاً :

ـ «ماما ، ماما ، أيمكننا الدخول ؟».

ـ «ليس الآن ياعزيزي . انني منشغلة»

قال الصوت الذي يحبانه كثيراً ، وكانت نبراته تدل على الحزن .

ـ «في الأمر شيء ما !» .

قال ويلفريد لكوني بصوت خفيض . وبدأت الفتـاة الصغيرة تبكي وقد سيطر عليها الخوف .

ـ «لاتبكي ياكوني . سأقنعها بالسماح لنا بالدخول» .

قال ويلفريد محاولاً تهدئتها .

ـ «ماما ، ياعزيزتي» .

قال من خلال ثقب الباب .

«اننا نرغب بشدة في رؤيتك» .

ـ «ولكن يجب أن تنتظر قليلاً ، فأمكما منشغلة» .

كان الرد الذي جاءهما من الداخل .

ـ «أمي العزيزة ، نريد أن نراك» ،

ردّ ويلفريد وأضاف :

«لقد فقدنا طائرتنا ـ فقد حملتها الريح بعيداً جداً ـ كوني أفلتت الخيط من يدها !، ولن نراها مرة أخرى ـ لن

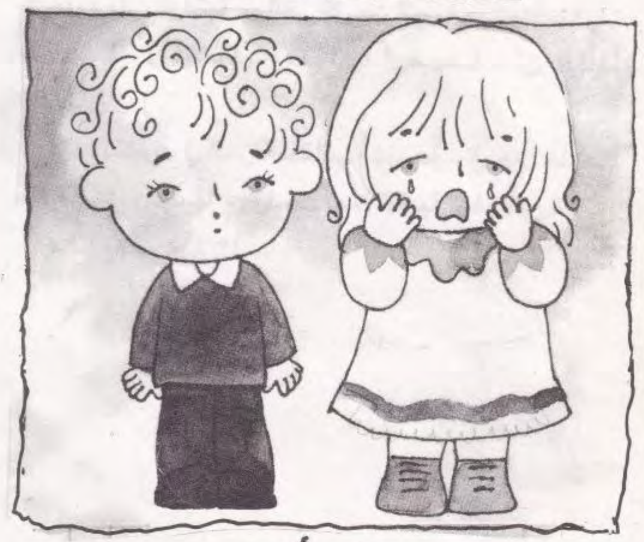
نرى طائرتنا العزيزة الجميلة» .

وعند سماع هذه الحكاية المؤسفة ، فتحت السيدة كليفورد باب غرفتها ، وألقى كل من الصغيرين بنفسه بين ذراعيها ، واكتشفا ـ وهذا ما أرعبهما ـ أن عينيها دامعتان .

لقد انتشرت في الغرفة حقائب مفتوحة ، في حين جلست خادمة على ركبتيها ، وراحت تملأ حقيبة سفر كبيرة .

ماذا يعني هذا ؟!...

الفصل الخامس



خسارة أكبر

كان صوت كوني يكاد لايسمع بسبب بكائها ، ولكن ويلفريد صرخ ،

ـ «ما الأمر يا أمي ؟. ما الأمر؟» .

قالت أمه :

ـ «ياعزيزي ، ينبغي عليك أن تكون فارسا صغيرا شجاعا

جداً ، وتمنح كوني القوة والشجاعة» .
ـ «لست أبكي ياماما» .
قال ويلفريد بشجاعة .
«الفرسان لايبكون ، وأنا لست عازماً على البكاء» .
ـ «ذلك هو الولد الشجاع !. سأقول لكما الآن لم أنا منزعجة . إن أباكما مريض جداً ، وقد أرسل في طلبي لموافاته إلى هناك» .
ـ «ونحن أيضاً؟» .
سألها ويلفريد .
ـ «كلا ياعزيزي ، لايمكنك أن تذهب أنت أيضاً ، حتى انني لا أستطيع اصطحاب أخيكما الصغير» .
ـ «وهل ستغيبين طويلاً ؟» .
سأل ويلفريد بحزن ، بينما راحت كوني تبكي بصوت أعلى من ذي قبل .
ـ «لا أستطيع أن أقول لكما الآن ـ ولكنني سأعود حين استطيع ذلك . وعليك أن تثق بذلك» .
ـ «ماما ، انني لاأبكي كما تعرفين ، ولكن ياعزيزتي ، ذلك أسوأ ـ بل هو أسوأ بكثير جداً من فقدان طائرتنا» .
قال ويلفريد ذلك بلهجة متشائمة .
ـ «يؤسفني كثيراً أن أترككما ياعزيزيّ» .

همست أمهما ، لانها تكاد لاتستطيع دفع نفسها للكلام بصوت مرتفع .

- «هل أنت مضطرّة للسفر؟» .

سألت كوني .

- «نعم ، أبوكما المسكين مريض جداً ، وقد تسلّمت برقيتين هذا الصباح» .

- «ألنْ تتحسن صحته ياماما؟» .

- «أرجو ذلك ياعزيزي ، ولكننا لانستطيع أن نتكهّن بذلك حتى هذه اللحظة» .

- «ومتى سترحلين؟» .

نظرت الأم إلى ساعتها ، ثم أجابت :

- «في ظرف ساعتين ستصل العربة إلى هنا» .

ولم تستطع أن تقول أكثر من ذلك ، إذْ إنهم جميعا بكوا معاً مدة قصيرة .

ونهضت السيدة كليفورد قائلة :

- «يجب علينا ألاّ نستسلم لعواطفنا . لابد أن أحزم أمتعتي وحقائبي ، وعليكما ألاّ تؤخراني عن ذلك . اذهبا إلى غرفة المربية وسألحق بكما حالما أتمكّن من ذلك» .

- «دعيني أبق هنا يا أمي ، سأكون صامتة هادئة تماماً» .

قالت كوني وأضافت :

«ولن أنطق بكلمة واحدة» .

ولكن الأم كانت حازمة ، فهي تعرف أنها لاتستطيع أن تنجـز مايحتـاج إلى الإنجاز ، إذا بقي طفـلاهـا في الغرفة . لأن رؤيتهما تفقدها هدوءها حين تفكر بالفراق القريب ، فهي لم تفارقهما من قبل قط .

وهناك حاصر الصغيران مربيتهما بالأسئلة .

كانت هي أيضا ، منشغلة بحزم الحقائب ، وأبلغتهما أنها ستأخذ الطفل معها الى بيتها ، لتعتني به هناك مدة من الوقت .

ـ «انه بيت ريفي جميل في الجنوب» .

قالت المربية .

«وأنا أتمنى أن آخذكمـا ، انتما الاثنـين ، معي إلى هناك» .

كانت المربيـة مولعـةً بعهدتهـا ـ ويلفريـد وكوني ـ وتمنى الصغيران بحماس ، لو أنهما تمكنا من الذهاب معها . فافتقاد المربية ، اضافة الى الأم ، لهو شيء مرعب حقا .

ـ «إلى أين سنذهب؟» .

سألاها مرة ، واخرىٰ ، وثالثة ، حتى أن المربية تعبت من إلحاحهما ، ثم قالت إنها تظن أن على ويلفريـد أن

يذهب إلى المدرسة ، في حين يمكن لكوني أن تذهب لتبقىٰ مع خالتها السيدة ميريت .

غالباً ما كان ويلفريد يقول ، إنه يـود لو يـذهب إلى المدرسة مثل الأولاد الآخرين ، ولكن ، وقد أصبح هذا الأمل وشيك الوقوع جداً ، صار وجهه شاحباً ، وأخذ يفكر بأن هذا قد لايكون لطيفاً بعد كل ذلك .

كانت كوني مرتعبة من فكرة الذهاب وحدها لتبقىٰ مع خالتها ، لأن السيدة (ميريت) امرأة صارمة جداً ، وهي تدير أسرتها الكبيرة بيدٍ من حديد . وحدث أن الصغيرين شاهداها في مناسبة او اثنتين فقط ، وفي كـل مرة كـانا خـائفين من تصرفهـا المتعجرف ، ومظهـرها الصـارم الكريه .

وكان عبثاً ما حاولته المربية ، وقد رأت حزنهما ، في تشجيعهما ومواساتهما ، بـالقول : إنهمـا قد يكـونان سعيدين جداً .

وقالت :

ـ «انك ياسيد كليفورد ، ستتعلم لعبة (كرة الكريكيت) مع الأولاد الآخرين ، وأنت يا آنسة كوني ، قـد لاتكونـين خائفة جداً ، حين ترين كيف تكون الفتيات الأخريـات شجاعات جداً» .

كان الصغيران متأكدين من أنهما سيكونان بائسين ، وعلى الرغم من أن وجـه ويلفريـد قد أشرق عنـد فكرة (الكريكيت) ،ولكنه بدا غيرسعيد مرة أخرى ،حين تذكرّ أنه قد يكون وحيداً حينذاك بين غرباء .

مرّ الوقت بطيئاً كئيباً ، حتى دخلت أمهما إلى غرفة المربية . كانت مرتدية ملابس السفر ، وظهرت شاحبة الوجه متعبة .

قالت أمهما وهي تجلس إلى جانبهما :

- «ياعزيزيّ ، بقيت لدي بضع دقائق لأتحدث إليكما ، وأريد منكما أن تصغيا بانتباه لما سأقوله لكما . لاتبكي هكذا ياكوني ، كوني شجاعة واستمعي لأمك . ويلفريد أعلم أنك ستكون شجاعا» .

- «نعم ياماما» .

قال ويلفريد بصوت مرتفع على نحوٍ لاضرورة له ، لأنه أحس أنه يوشك أن يبكي .

- «خالتكما ميريت».

واصلت الأم كلامها :

«ستكون هنا في غضون نصف ساعة أو نحو ذلـك ، والعربة التي تنقلني الى المحطة ستعود بها إلى هنا . لقد أبرقت تقول انها ستقوم بما أردت منها بارتياح ، لهذا

ستبقى هنا ليلة ، وغداً ستأخذكما ، ويلفريد إلى المدرسة ، وكوني ستذهب معها إلى بيتها» .

- «تقول المربية انها ستأخذ الطفل إلى بيتها . ألا يمكنني أن أذهب معها يا أمي؟» .

سألتها كوني بتوسّل .

- «كلا ياعزيزتي ، يجب ان ترحلي وتبقي مع الخالة ميريت حتى لفـ .... حتى أعود إلى البيت» .

وانفجرت كوني بنوبة من البكاء ، ممّا تسببّ في إقلاق أمهما كثيراً ، وأوشك أن يزعزع سيطرة ويلفريد المسكين على نفسه ، فقد راح يطرف بعينيه بشدة ، ليمنع دموعه من الخروج ، وسأل بصوت مرتعش قليلاً :

- «أهي لطيفة ، تلك المدرسة التي سأذهب إليها ياماما ؟» .

- «نعم» .

قالت أمه .

«أظنها كذلك ، وإلاّ لما سمحت بارسالك إليها . فالاستاذ ميتكالف كان ذات يوم مدرس أبيك ، انه رجل لطيف ، يسكن في مدينة صغيرة تقع على بعد عشرة أميال ، وهو يعدّ الأطفال للدخول إلى المدارس العامة» .

- «هل هناك الكثير من الأولاد ؟»

سأل ويلفريد ، وهو مايزال يطرف بعينيه بشدة .

- «أكثر من عشرة كما أعتقد ، أما السيدة ميتكالف ، فهي امرأة عطوف لطيفة جداً ، وستعاملك بحنـان ولطف ، أنني متأكدة من ذلك» .

- «ولكنها لن تكون مثلك ياماما» .

وألقى ويلفريد بذراعيه حول أمه ، وتشبّث بها كما لو أنه لايريد لها أن ترحل .

قـالت الأم ، حالمـا تمكّنت من الكلام مـرة أخرىٰ ، بسبب عناق ويلفريد وقُبله :

- «كوني ، أريدك أن تعديني بأن تكـوني فتاة جيـدة ، وافعلي ماتطلبه منك الخالة ميريت . وسأسعـد أكثر إن وعدتني بذلك» .

- «نعم ، أعدك بذلك» .

- «العربة بالانتظار ياسيدتي» .

نهضت السيدة كليفورد ، وقالت :

- «ويلفريد ، ستتذكر دائماً أن أمك تريد منك أن تكون فارساً صغيراً مطيعاً طيباً صادقاً» .

الحقيقـة ، انها وظّفت أسلـوبه في التفكـير لتحقيق رغبتها وتضمن النجاح في ماتريد .

- «سأكون .... سأكون ...» .

صاح ويلفريد .

«ولكن عودي فقط ، يا أمي العزيزة» .

قبّلت السيدة كليفورد الصغيرين معاً مـرة أخرى ، وأخرى ، وودعت الطفل الصغير بحزن ، وراح هذا ينظر إليها بعينين باسمتين ، وليس بامكانه أن يفهم لماذا كل هذه الضجّة ؟.

ثم أسرعت الأم نـازلة عـلى درجات السلم ، يتبعهـا الصغـيران ، إلى العربـة ، وشاهـداها تحملهـا بعيداً بسرعة ، وعيناهما تمتلئان بالدموع .

ـ «لقد رحلت ماما» .

قالت كوني .

ـ «رحلت !» .

ردّد ويلفريد الحزين .

«أوه ، كوني !» .

ـ «لقد بكيت ، حتى أنني لا أستطيع أن أبكي أكثر» .

قالت كوني بيأس .

ـ «ماذا سنفعل ؟» .

سألها ويلفريد .

لم تـردّ كوني ، وهكـذا رجعا إلى البيت في صمت ، وتطلعا إلى غرفة الجلوس الفارغة .

كـانت شمس العصر مشرقـة تضيء كـرسي أمهمـا المفضل ، وبدا موحشاً جداً ، لذلك ابتعدا عنه ، ودخلا إلى غرفة الطعام .

وهنـاك ، من جديـد ، كان الشيء نفسـه تقـريبـا ، فالكرسي الذي اعتادت أمهما الجلوس عليه كان فـارغا موحشاً ، على نحو يثير الحزن .

- «هذا أسوأ من فقدان الطائرة» .

قال ويلفريد بصوت مرتعش ، ولم يقل شيئاً آخر بعد هذا .

- «دعنا نذهب إلى المربية» .

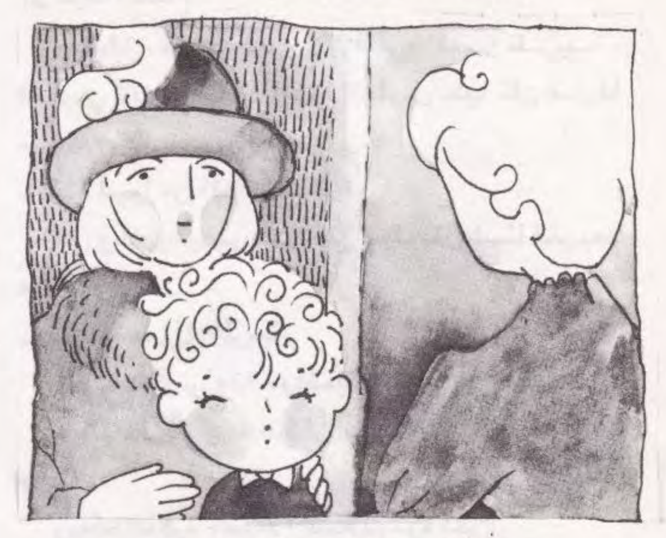
اقترحت كوني هذا ، وأضافت :

«تعلم ياويلفريد ، اننا لن نراها هي والطفـل ، مدة طويلة» .

وبهذه الفكرة ، صعدا السلالم مرة أخرى .

كانا ثنائيا صغيراً حزيناً جداً في أعماق أسىً طفولي .

الفصل السادس



ويلفريد في المدرسة

- «والآن ياذا الأصابع الرخوة ، لماذا لم تمسك بها؟» .

وتطلع ويلفريد إلى كرة الكريكيت التي مرت من فوق رأسه وهي تئز ، ثم سقطت على الأرض في الزاوية البعيدة من الملعب . كيف يمكنه أن يمسك بها ؟ فالفتى الأطول منه بكثير ، كان أقرب منه إلى مكان سقوطها ، ومع ذلك

فشل في الإمساك بها . فكيف يسخر منه الأولاد !.
ذو الأصابع الرخوة ! ... إنه تعبير مهين جداً :.. فقد أحس أنه رجل ضئيل بملابسه الرياضية البيض الجديدة ، وهو الآن مضطر إلى أن يطرف بعينيه بشدّة كي يحبس دموعه التي تحاول الإفلات .

كان النهار حارّاً جداً . مضى على ويلفريد في المدرسة شهر واحد ، ولم يحبها كثيراً . فقد كان يعامل في البيت برقة ولطف ، في حين كان التلاميذ الآخرون في مدرسة الدكتور ميتكالف خشنين جداً .

وبما أنه التلميذ الوحيد الجديد والأصغر عمراً فيما بينهم ، فقد استضعفوه كثيراً . لذلك قضّى ويلفريد وقتاً كئيباً بسبب ذلك ، لولا ذلك العطف الخاص من قبل السيدة ميتكالف ، وهو عطف ليس عادلاً ، لأنه يثير امتعاض التلاميذ الآخرين .

ولكن السيدة الطيبة كانت تشفق على الفتى الغريب ، وقد تدعوه أحياناً للدخول إلى غرفة الجلوس ، وتجلسه إلى جانبها ، فيتحدث لها عن أهله . حدثها عن كوني وأخيه الصغير ، والمربية ، وأبيه ، وحتى عن أمه ، على الرغم من أنه يشعر كما لو كان سيبكي حين يتحدث عنها . ولكنه لم يقل شيئاً حول كونه (فارساً صغيراً) ،

لأنه شعر على نحوٍ غريزي أنه قد يستطيع التحدث عن ذلك بحرية مع أمه وحتى مع كوني . فهذا الموضوع خاص جداً بحيث لايناقش مع شخص لم تطل معرفته به . وفضلاً عن ذلك ، فهو يخشىٰ خشية كبيرة ، من أن يعرف الأولاد شيئاً عن طموحه السري . فاذا حدث أن نادوه باسم (الفارس الصغير) بصيحاتهم الهازئة الساخرة الصاخبة ، فان هذا سيفسد عليه الاسم الذي كان يخرج من شفتي أمه على نحو يثير البهجة .

كان ويلفريد يفهم ان هناك فرقاً كبيراً ، عند كل من يقول شيئاً ، وكيف يقال .

ـ «لاتسخر من الطفل !» .

قال صبي آخر بعبث، حين ألقى نظرة على وجه ويلفريد المنزعج .

ـ «سيمسك بالكرة يوماً ما ، حين يحدث أن ترتمي مباشرة في يديه»

ـ «من الأفضل أن ترميها ، بعد الآن ياريكس ، وتصوبها نحو ذلك الجدار» .

قال صبي آخر وأضاف :

«لأنني لم أرَ في حياتي رامياً أسوأ منك ، لأنك لاتستطيع ان ترمي كرة صحيحة مقابل كل تلك النقود في

المحفظة !» ، ثم قذف بالمحفظة في الهواء بإهمال ، وأمسك بها ببراعة عظيمة .

* ولكن انتباههم انصرف الآن نحو المباراة . وفي وقت قصير ، أطلق فريقهم الكرة ، وبينما اشتبك الأولاد معاً ، كان الاثنان اللذان تجادلا بشأن ويلفريد ، قد ظهرا أمامه متحدثين بغضب .

- «انظر هنا ، أيها الولد الصغير» .

قال ريكس .

«ارفع يديك هكذا ، وسأذهب بعيداً قرب ذلك الجدار ، وأرمي الكرة إلى يديك . اقول لك يابيرسي ، انني سأنجح» .

قال ريكس هذا ملتفتاً نحو الفتى الآخر .

- «لاتستطيع !» .

وضحك بيرسي بسخرية .

- «أستطيع» .

كان ردّ ريكس الذي كان عمره ثلاث عشرة سنة ، ومشى متئداً حتى توقف على بعد ، ثم صاح بقوة .

-«أمسك !».

ورمىٰ الكرة نحو ويلفريد .

وكان ويلفريد الصغير متوتراً جداً ، والشمس تتوهج في وجهه ، لذلك كان من الصعب عليه أن يتابع انطلاق الكرة . ولكن ، في اللحظة التالية ، ضربت الكرة جبينه ، مسببةً له ألماً حاداً ، بحيث سقط إلى الأرض وهو يئن أنيناً موجعاً . كل شيء فيما حوله تلفّع بالظلام مدة قصيرة . وأحس أن الأيدي تتلمّسه ، وسمع أصوات الأولاد ، وهم يتحدثون باشفاق . ثم ، وبينما بقي ساكناً تماماً ، راحوا يتحدثون بنبرات مرتعبة . وسكب أحدهم قليلاً من الماء على الرأس المرتضّ ، فتح الطفل المسكين عينيه ، ورأى مايشبه عاصفة من البقع السود تحيط به .

ـ «ماهذا ؟» .

سأل بصوت ضعيف .

ـ «أوه ! ، أقول ياعزيزي ويلفريد ، حاول أن تكون بحالٍ أفضل . يؤسفني كثيراً أنني آذيتك !» .

صاح ريكس النادم الآن .

ـ «دعنا ندخله إلى منزل السيدة ميتكالف» .

قال بيرسي .

ـ «كلا» .

قال ريكس .

«كلا ، كلا . إن كان سيتحسّن ، فلاحاجة بنا إلى

إخبارها . فالدكتور سيغضب كثيراً إذا عرف الأمر» .

- «سنفعل ذلك» .

صاح ولد أكبر .

«لأنك تعرف أنك فعلت الشيء نفسه من قبل ، وكان قد منعك من رمي كرات الكريكيت نحو أي شخص» .

أغلق ويلفريد عينيه ، وأعلن بيرسي مـرة أخرىٰ عن عزمه على حمله إلى منزل السيدة ميتكالف .

- «أوه ! أقول ، ياويلفريد ، انك لن تقول كيف حدث هذا ، هل ستفعل ؟» .

قال ريكس متوسلاً .

- «تستطيع ان تقول اننا كنا نلعب بطريقة اعتيادية» .

قال بيرسي ، وقد أخذته شفقة على محنة ريكس .

- «ولكنني لا أستطيع أن ألفق قصة كاذبة» .

قال ويلفريد وقد فتح عينيه وأغلقهما مرة أخرى ، لأنه رأى نجوماً تلتمع أمام عينيه ، فشعر بالخوف .

- «انك لن تكون وضيعاً جداً فتتحدث عني ؟» .

قال ريجينالد بذعر كبير .

- «والآن ، ابتعد عن طريقي ياريكس ! . انني مصمّم على حمله إلى الداخل . سيكون من صالحك أن يشي بك ، لأنك تثيره ضدك ، حين تتركه في ألم كهذا» .

ـ «حسنـا ، لايمكنني أن أجبره عـلى السكـوت عني ، ولكنني آمل ـ من أجل اعتـذاري له ـ أن يكـون لطيفا فلايفعل» .

قال ريكس الذي أدرك أنه قد يطرد من المدرسة ، ان سمع الدكتور ميتكالف بما فعل .

ـ «اهدأ» .

قال بيرسي ، رافعا ويلفريد بذراعيـه ، ليحمله نحـو المنزل . كان جسد ويلفريد المغطى بالثياب البيض خفيفا جدا بحيث حمله بيرسي بسهولة ووضعه على الأريكة في غرفة الطعام .

وفي أثناء هذا ، انتفخ ورم كبير فوق جبين ويلفريد ، وصار حجمه بحجم قبضته تقريبا .

ـ «شكرا يابيرسي» .

قال ويلفريد فاتحا عينيه، محاولاً أن يبتسم .

«انك تحمل على نحو «لطيف» .

ـ «انني آسف كثيرا ، فقد كنت قاسيا معك» .

قال بيرسي بحرارة ومحبة .

«لقد تحملت الألم كأنك بطل» ،

ـ «هذا كرم منك إذْ تقول ذلك» .

قال ويلفريد معبرا عن امتنانه .

ـ «كلاعلى الاطلاق ، ولكنني أقول ياويلفريـد ، إن كنت تستطيع تدبّر الأمر فلا تشْكُ ريكس ـ أعرف انه يستحق هذا ولكن مع ذلك ـ» .

ـ «أوه ، انني لن أشكوه» .

قاطعه ويلفريد .

ـ «سيحبك إلى الأبد ، إن لم تفعل ذلك» .

ثم دخلت السيدة ميتكالف بعجلة .

ـ «أوه ياعزيزي .... ياعزيزي ما الأمر ؟» .

صاحت السيدة ميتكالف .

«آه ياصغيري المسكين ، لقد أوشكوا أن يقتلوك ! . أفٍ من لعبة الكريكيت القذرة !» .

ـ «هل أستدعي الخدم ؟» .

سأل بيرسي الذي كان متلهفا إلى الخروج .

ـ «نعم .. نعم .. قل لهم أن يأتوا بماء ساخن وضمادة . سأحقق في هذا الحادث» .

قالت السيدة ميتكالف بطريقتها الشديـدة الحزم . ومع ذلك ، وبلطف شديد ، غسلت رأس ويلفـريد ، ثم حملته صاعـدة به درجـات السلم لتضعه في سريـره ، وانصرفت عن أعمالها وجلست إلى جانبه مدة طويلـة ، ومن دون أن تزعجه ، ولو مرة واحدة ، بأية أسئلة .

وقبل أن يحل المســاء ، كان ويلفـريد قـد نام نـوماً مريحاً ، وعندئذ ، قالت بلطف :

ـ «والآن ياويلفريـد ، قل لي الحقيقـة . كيف وقع هـذا الحادث ؟» .

ـ «ضربتني كرة» .

ردّ باحتراس .

ـ «نعم طبعاً ، ولكن من رماها ؟» .

لم يجب ويلفريد .

ـ «والآن ياعزيزي ، قلْ لي فوراً ، لأنني يجب أن أعرف» .

ثم انحنت السيدة ميتكالف عليه لتسمع على نحو أفضل .

ومستسلماً لرغبة شديدة ، طوق الفتى الصغير عنقها بذراعيه ، وهمس في اذنها بتوسل :

ـ «عزيزتي ... عزيزتي سيدة ميتكالف ، لاتسأليني ؟. أرجوك لاترغبي في معرفة هذا ، هذه المرة فقط» .

ـ «ولكن يجب أن أعرف ياويلفريد» .

ـ «ولكن أرجوك ، لا أستطيع أن اقول لك ... لا أستطيع حقاً ، لأنني وعدت بألّا أقول لك» .

ـ «ومن جعلك تعطي هذا الوعد» .

ـ «أرجوك ،...» .

كانت لهجة ويلفـريد متضرعـة ، بحيث ان السيدة ميتكالف رقّتْ وقالت ، مع ذلك ، بنفور واضح :

ـ «حسناً اذن ، لن أسألك ، بشرط أن تتحسن صحتك فوراً ولكن اذا سبب لك الحادث مرضـاً ، فان والـديك سيرغبان في معرفة كل شيء عنه . وعندئذ يجب أن يقال كل شيء ويكشف الأمر» .

ـ «اوه شكراً لك ، شكراً لك : . أظن أنني أشعر بتحسّن كبير الآن» .

قال ويلفريد ذلك بطيبة شديـدة ، بحيث ان السيدة ميتكالف ضحكت وقبلته في حاجبه .

ـ «أنت أيها العزيز ، ياصاحب الرأس الصغير المجعّد» .

قالت واضافت :

«نمْ في هذه اللحظة ، ولاتزعج نفسك بهذا الحادث .

ولم يصب ويلفريد بأي مرض ، ففي غضون يوم أو يومين أصبح على مايرام مرة أخرى ، باستثناء ورم داكنٍ نصف مختفٍ بخصلات شعره الذهبية ، وهو يدل عـلى مكان ضربة الكرة .

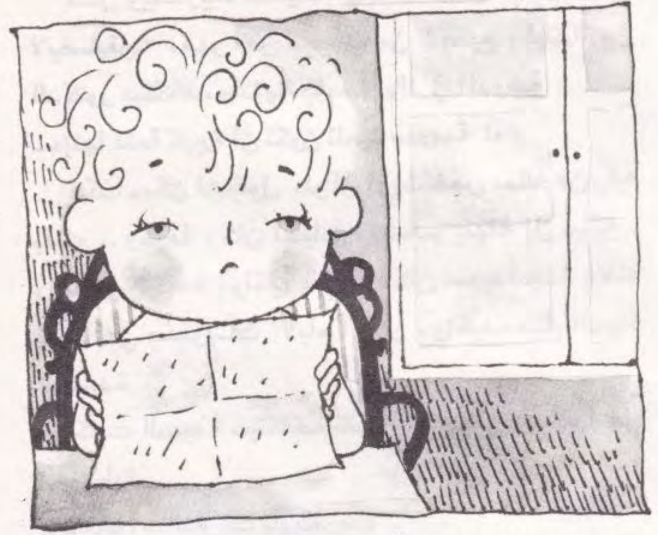
وقد اكتشف ويلفريد أن تغيراً سارّاً قد حدث . ذلك أن الأولاد كلهم صاروا لطفاء جداً معه ، وعلى نحو خاص ريجينالد الذي كان ، من قبل ، خشناً معه . لقد امتدحوه

كلهم بافراط على تصرفه في الاحتفاظ بسر الحادث وسببه ، وقالوا انه كان (صخرة صغيرة !) ، تعبيراً عن صلابته ، ولهذا كان ويلفريد ممتنّاً جداً لتصرفهم اللطيف معه ، وقال ببراعة فائقة :

ـ «أشكركم جزيل الشكر» .

ولهذا هتفوا له ، وحملوه على الأكتاف ، وطافوا به حول ساحة المدرسة .

الفصل السابع



رسالة كوني

كان صباحاً جميلاً ، في أوائـل تشرين الأول . ومن النوافذ ، خلف منـزل الدكتـور ميتكالف الـذي يقع في ضواحي المدينة، يمكنك أن ترى حقول الذرة الذهبيـة التي دخل إليها الحـاصدون قبـل وقت قصير ، بينمـا ازدهت أوراق الأشجار بالكثـير من الألوان المختلفـة .

فالفواكه التي راحت تتدلى من غصون الأشجار ، كانت تنضج بسرعة ، فمنحت المنظر ألواناً إضافية .

كان ويلفريد سعيداً في هذا الوقت ، والأولاد لايضايقونه . فهو الآن محبوب من الجميع ، ابتداءً من الدكتور ميتكالف وانتهاءً بأصغر ولد في المدرسة .

ـ «إنها لمتعة كبيرة أن تكون تلميذ مدرسة !» .

هكذا يمكن أن يقول ، لو أنّ أيّ شخص سأله عن رأيه بذلك .. وطبعاً ، كان احياناً ، يشعر بلهفة إلى بيته ، ويشتاق إلى أمه . ولكنه عموماً ، كان سعيداً جداً ، لأنه تغلّب على صعوبات الأيام الأولى ، وتكيّف مع الحياة الجديدة .

كانت السيدة ميتكالف تقول : إنه كان مستقراً على نحوٍ لطيف .

ـ «هناك رسالتان لك ياويلفريد» .

قالت السيدة ميتكالف ، بعد الانتهاء من الفطور ، بعد أن رتّبت الرسائل وسلمتها إلى أصحابها .

ـ «رسالتان ؟. أوه ، أوه !» .

صاح ويلفريد مسروراً .

ـ «نعم . واحدة من أمك ، كما أرى» ،

قالت السيدة ميتكالف منتبهة إلى ورق الرسائل

الأجنبي ، واضافت :

«والاخرىٰ ـ عجباً !» اية كتابة مضحكة هذه ، انها كبيرة الحروف ، وسطورها تنحرف مائلة نحو الزاوية !» .

ـ «أوه ، انها من كوني !. تعرفين أنها مجرد فتاة صغيرة» .

قال ويلفريد ، بشيء من الخجل ، بسبب الخط المتموج الكبير الحروف ، الذي كان «ينحرف مائلاً نحو الزاوية» ، وكان ـ أيضاً ـ ملطخاً . ببقع الحبر .

«شكراً لك ياسيدة ميتكالف» .

تناول الرسالتين ، وتوجه الى حجرة الصف ، حين قالت بلطف :

ـ «يمكنك أن تجلس هنا لتقرأهما . فالمكان هنا أكثر هدوءً ، وإذا عجزت عن فهم أية كلمة ، فيمكنني أن أساعدك» .

ووجد ويلفريد انه كان مسروراً جداً ، لاستنجاده بها مرة أو مرتين ، قبل أن يستوعب محتويات رسالة أمه .

كتبت السيدة كليفورد تقول إن أباه تحسنت صحّته كثيراً ، ويأملان ، هو وهي ، العودة الى انكلترا في غضون شهرين أو نحو ذلك ، ان استمرّ التحسّن في صحته .

كان الفتى الصغير فرحاً ، حيث فكّرا أنهما قد يعودان الى البيت في الوقت الذي تبدأ العطلة ، بعد أن كان يخشىٰ أن يبقيا بعيداً طوال فصل الشتاء .

أمّا رسالة كوني ، بحروفها الكبيرة وسطورها المائلة ، فقد كانت سهلة القراءة ، وذلك انه ، حين دخل خادم يطلب حضور السيدة ميتكالف إلى المطبخ ، تمكن من قراءتها وحده تماماً .

ـ «عزيزي ويلفريد» .

كتبت كوني في رسالتها . (الرسالة غير مؤرّخة) .

«أنا أتعس مخلوق ـ الخالة ميريت قاسية جداً ـ والأولاد يضايقونني كذلك» .

ـ «كوني المسكينة ! انني أتساءل إنْ كانوا قد ضربوا رأسها بكرة الكريكيت ؟» .

فكر ويلفريد باشفاق ثم واصل القراءة :

«والفتيات هنا متكبرات وقاسيات وخشنات الطبع ـ انني آخذة بالنحول والضعف» .

ـ «أي شيء جميل ، مع ذلك»

فكر ويلفريد وقال :

«لاتهتمّي ياكوني» .

وواصل القراءة .

«لا أستطيع أن آكل أي شيء ـ سأموت ـ اعرف انني سأموت !.

أوه ياويلفريد ، أنا أريد أمي ! . متى تعود إلى البيت ؟ . ويلفريد ، كم أتمنى أن تكون مثل فرسان السيف الذهبي ، الطيبين الأعزاء فتأتي وتحررني من هذا المكان المرعب ! . حاول أن تأتي . فأنا أختك المحبّة : كوني» .

وبعد خمس دقائق ، وقبل بدء الدوام الصباحي بعشر دقائق تماماً ، اجتاز ويلفريد الصالة وطرق على باب غرفة الدكتور ميتكالف الدراسية .

ـ «ادخل» .

قال الدكتور ـ وكان طويلاً ، نحيفاً ، ذا مظهر جدّي ، وشعر رمادي ، وهو نقيض لزوجته التي كانت قصيرة ، بدينة ، رقيقة المظهر ، وكان ويلفريد يخشاه كثيراً .

«حسناً ، ماتريد أيها الصغير ؟» .

سأله الدكتور .

ـ «أرجوك يادكتور ميتكالف ، أريد الذهاب إلى لندن» .

قال ويلفريد بشجاعة .

ـ «تريد الذهاب الى لندن !؟» .

قال الدكتور في دهشة ، بينما راح يفرك نظارتيه

بمنديله الحريري الكبير ، مبتسماً بسخرية .
«وما الذي تودّ أن تفعله هناك ، من فضلك ؟» .
فقال ويلفريد ، وهو يظن أنه يتقدم على نحوٍ حسن .
ـ «تعرف ان كوني المسكينة ، أختي ياسيدي ، إنها تعيسة جداً .
كتبت لي طالبةً أن أذهب إليها وأطلق سراحها» .
ـــ «حقاً ؟» .
قال الدكتور ، وهو يضع نظارتيه على عينيه ، وينظر إلى ويلفريدبطريقة جعلته يجفل .
ـ «وفي أي سجن حكومي سُجنت اختك ؟» .
ـ «أوه ، إنه ليس سجناً ، ولاحكومياً» .
هتف ويلفريد بلهفة .
انه منزل الخالة ميريت . وكوني تعيسة هناك ـ فهم قساة معها ـ ولا أدري ان كانوا يضربونها بكرات الكريكيت ـ أوه ، أقصد ـ أرجوك انسَ ذلك يادكتور» .
ثم قال بكثيرمن الارتباك :
«أعني ـ انني لا أدري مايفعلون تماماً .. ولكن ليس نعيش في هذا المكان ، فهنا السيدة ميتكالف و ... وأنت ياسيدي .» .
وتطلع الى الدكتور بابتسامة فوز ، انحنى الدكتور

تحت تأثيرها ، ولكنه تعمد العبوس .

ولكن أرجوك ، (كوني) تقول انني يجب أن أذهب اليها . من فضلك ، أيمكنني الذهاب ؟» .

ثم ابتسم مرة أخرى بوجه الدكتور .

- «انت ! إلى لندن - وحدك ؟؟ لم يسمع أحد بشيء مثل هذا . استأذنت السيدة ميتكالف ؟» .

- «كلا ، ولكنني متأكد من أنها ستسمح لي بالذهاب ، إذا سمحت أنت» قال ويلفريد متلهفاً : وأضاف :

«انها أمرأة متفهّمة جداً - ويمكنها أن تفهم في دقيقة انني يجب أن أذهب - ثمّ ، ياسيدي هناك شيء آخر ، هو أنها امرأة طيبة جداً»

«نعم انها كذلك تماماً» .

قال الدكتور مبتسماً .

«حسناً أيها الرجل الصغير ، ستحاول معها ، فاذا سمحت لك بالذهاب ، سمحت أنا لك» .

-«اوه ، شكراً لك ياسيدي ، شكراً لك !» .

قال ويلفريد بامتنان ، ثم استدار ليخرج من الغرفة ، ولكنه رجع قبل أن يصل الباب ، ليقول :

- «انك تعرف يا أستاذ ، أنها وحيدة بينهم . فالمربية أخذت أخي الصغير إلى الجنوب ، وأبي وأمي رحلا الى

مدينة (كان) في فرنسا ، ياسيدي ، وهي ......» .
ـ «أهي كذلك حقاً ؟» .
قال الدكتور رافعاً حاجبيه .
ـ «وهكذا ، ليس أمام كوني المسكينة من أحدٍ يهتم بها سواي ، يا أستاذ» .
وتابع ويلفريد كلامه وهو يشد قامته إلى أعلى :
«صحيح أنها أكبر مني بسنة ، ولكن ، كما تعرف ، انها فتاة ، مجرد فتاة صغيرة ، وأنا فتىً ، سيتحول إلى رجلٍ يا أستاذ» .
ـ «أوه ! ، ستكون رجلاً ... أهذا صحيح ؟» .
قال الدكتور وهو يرمي بجسمه الى الخلف في كرسيه ، ويضحك ، على الرغم من أن ويلفريد لم يره يضحك قط :
ـ «حسناً ، ينبغي عليك ، اذن ، الّاتدع أي فتىً آخر ، يرمي بكرات الكريكيت على رأسك ، بعد ذلك» .
وانسحب ويلفريد بشيء من الاضطراب ، خائفاً كثيراً من أن يكتشف الدكتور سرّه الخفي .
ـ «هارولد» .
قالت السيدة ميتكالف مقبلةً على زوجها ، بعد مرور نصف ساعة من بدء دوام المدرسة ، ومتكلّمة بصوت واطيء كي لايسمعها الأولاد .

«لماذا بعثتَ إليّ ويلفريد بتلك الفكرة التي تدور في رأسه ؟ .

الطفل المسكين ، كان يتوسل إليّ ويستعطفني لاسمح له بالسفر إلى لندن ، مؤكداً أنه قد حصل على موافقتك» .

ـ «بشرط الحصول على موافقتك أنت» .

ـ «أوه هارولد ، لماذا بنيتها على هذه الطريقة ؟» .

ـ «لأن الفتى ياعزيزتي ، قال انك متفهّمة جداً ، وطيبة جداً ، ووافقته على ذلك ، وهكذا كنت أعرف أنه يمكنك أن تتصرفي . ثم هل يصحّ ياعزيزتي ، أن يتوقع مني الصغار ، الرفض الدائم لرغباتهم ، بينما يتوقعون منك الإذعان لكل رغبة من رغباتهم ؟» .

ـ «حسناً ، على أية حال ، كان عليَّ أن أرفض طلب ويلفريد المسكين ، وهو الآن يبكي بسبب ذلك ، وحالته لاتسمح له بحضور الدروس» .

ـ «إنه يتعلم واحداً من الدروس التي يجب أن نتعلمها جميعاً ، ذلك الدرس هو أننا لايمكننا أن نختار طريقنا الخاص دائماً» .

ثم عادت السيدة ميتكالف إلى ويلفريد ، وحاولت أن تريحه قدْر الإمكان . فهو فتىً صغير شجاع ، كما نعرف ، وحين جعلته يفهم أنه من الخطأ أن تسمح له

بمغادرة (ويكفيلد) من دون موافقة والديه ، أو ضد مشيئتهما ، حينذاك توقف عن طلب السفر ، وبعد مدة قصيرة ، صار قادراً على الانضمام ، مع بقية الفتيان الآخرين ، إلى الدروس .

ولكنه لم يتمكن من حلّ مسائله الحسابية ، لتفكيره بكوني ، وهي في مأزق خانق عند خالتهما . وكان يتخيل باستمرار أنه يسمع بكاءها ، لذا لم يستطع الانتباه لدروسه .

وعندما خرج الأولاد جميعاً راكضين إلى ساحة اللعب في الساعة الثانية عشرة ، سأله بعضهم عما يشغله ، وعندئذ ردّ عليهم بأنه وصلته أخبار سيئة جداً في رسالة ، موضحّاً لواحد او لاثنين منهم ، أن اخته تعيسة جداً ، وطلبت منه أن يوافيها إلى هناك ليراها .

ـ «حسناً ، ولماذا لاتذهب ؟» .

سأله ريكس ،

«أين هي ؟» .

ـ «انها في لندن . طلبت من الدكتور ميتكالف السماحَ لي بالذهاب ، وكان لطيفاً جداً معي ، ولكنني لاأستطيع السفر» .

قال ويلفريد متنهداً .

ـ «استأذنت الدكتور ميتكالف ؟» .

قال بيرسي

«عجيب !. وماذا قال ؟» .

ـ «كان لطيفاً جداً ، كما تعرفون» .

قال ويلفريد وأضاف :

«قال : إنه موافق إذا وافقت السيدة ميتكالف . وتعرفون ، انها حين طلبت منها ذلك ، لم توافق» .

ـ «لم أكن أظنهما يوافقان !» .

قال ريكس رافعاً حاجبيه بفزع ظاهري من الفكرة ، وأضاف :

«عجباً ، ما الذي سيظنه أبواك ، إذا سمحا لك بالطواف حول انكلترا ؟» .

ـ «أعرف ـ أو في الأقل أظن ـ أن أمي تريد مني الذهاب إلى كوني المسكينة» .

قال ويلفريد وهو يرمش بعينيه بشدة ، ويتشمّم بارتباب نوعاً ما .

ـ «انك لن تكون حتى نصف رجل ، ان لم تهبّ لنجدة الفتاة البائسة» .

ـ «أنني أتمنّى الذهاب» .

قال ويلفريد بطريقته المتلهفة ، بينما تورّد خداه ،

وارتمى
رأسه المجعّد الى الوراء .
«ولكنهما لن يسمحا لي بذلك» .
ـ «كلا ياصغيري ، انهما لن يسمحا لك قطعاً» .
قال بيرسي ، مربتاً على ظهره ، على سبيل التوديع ، ثم راح يركض مبتعداً نحو عددٍ من الأولاد الأكبر سناً .
ـ «ألن تفعل أي شيء مطلقاً ، سوى مايختاره لك الناس لتفعله ؟» .
قال ريكس بسخرية ، حين بقيا وحدهما .
«عجباً ، حين كنت في مثل عمرك ، هربت من المدرسة ، وسافرت حول انكلترا وحدي تماماً» .
ـ «أفعلت ذلك ؟» .
هتف ويلفريد .
«ياللعجب ، تصورت انني فتى صغير جداً ، على السفر وحدي لأي مكان ـ أعني بالقطار ، كما تعرف ، ولمسافة بعيدة» .
ـ «كم هو عمرك ؟» .
ـ «ليس بعيداً عن الثامنة الآن» .
ردّ الفتى الصغير ، وهو يشد قائمته إلى أعلى ، محاولاً أن يبدو كبيراً .

ضحك ريكس ، وقال :

ـ «انك طفل متكلف مع ذلك» .

قال هذا متعمداً مضايقته ، على الرغم من أنه لم يقل ذلك بلهجة قاسية .

«أخشى ألّا تجد فيك أختك الصغيرة المسكينة ، شيئاً كثيراً من ملامح البطل» .

احمرّ وجه ويلفريد بشدة ، وامتلأت عيناه بالدموع .

ـ «أوه ريكس !» .

هتف ويلفريد .

«ماذا يمكنني أن أفعل لمساعدتها ؟» .

ـ «ماذا تريد هي منك أن تفعل ؟» .

ـ «تريد أن أذهب إليها» .

ـ «حسناً ، إذهب إذنْ» .

قال ريكس .

ـ «ولكن كيف ؟» .

ـ «أوه ياللإزعاج ! . اولئك الاصدقاء هناك يدعونني ، ولايمكن أن امتنع عن دعوتهم ! . كيف يمكنك أن تذهب إليها ؟ . حسناً ، لست أدري . أين هي ، كما قلت ؟» .

ـ «في لندن» .

ـ «حسناً ، انك لاتستطيع أن تطير ، ومن البديهي انك

لاتستطيع أن تسافر إليها سيراً على الأقدام . وأنصحك بالسفر بالقطار» .

وبقوله هـذا ، استدار ريكس وانطلق نحـو الفتيان الآخرين الذين كانوا يرسلون إليه إشارات نافدة الصبر ليلتحق بهم .

ترك ويلفريد الصغير المسكين وحيداً ، ورأسـه مليء بالأفكار المز عجة . (كـوني) طلبت منه أن ينقـذها من الحياة البائسة . أمه قالت : ان كل الفرسان الشجعان يذهبون لنجدة اولئك الواقعين في مأزق أو محنة . ولايهم عندئذ مبلـغ الصعوبـات وكثرتهـا في طريقهم . ريكس يعتقد أنه طفل ، مالم يذهب إلى كوني ، حتى إذا لم يسمح له الدكتور ميتكالف والسيدة ميتكالف بذلك .

أيمكن أن يسافر من دون استئذان ، قاطعاً كل تلك المسافة الطويلة ؟ .

أيجب عليه أن يسافر من دون استئذان ؟

أيجرؤ على أن يسافر وحده بعيداً جداً ؟

ـ «ذلك يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة» .

قال ويلفريد لنفسه .

«سيكون صعباً جداً ، كصعوبة قتل التنين تقريباً . ولكن دايـودون فعلها . وأنـا ، أيضاً ، يجب أن أكـون

شجاعاً ، ويجب أن أفعلها» .

ـ «هيا ياويلفريد ، اننا ذاهبون جميعاً في نزهة» .

صاح أحد الفتيان في تلك اللحظة تماماً . وهكذا اندفع ويلفريد نحوهم ، وفي بضع دقائق ، راحوا يسيرون عبر الطريق العام الواصل بين المدينة والريف .

وقادهم الطريق إلى ماوراء المحطة . وحدث في تلك اللحظة ، ان تدافع حشد صغير للدخول إلى المحطة بسرعة .

ـ «القطار السريع إلى لندن ، سيدخل الى المحطة في الحال» .

قال أحد الفتيان الكبار ، وأضاف :

« . انظروا إلى هؤلاء الناس ، كم هم مسرعون ! . فالقطار يتوقف هنا بضع دقائق فقط ، وهم قطعوا تذاكرهم ليسافروا به» .

وواصل الأولاد الضحك والكلام ، ولم يلاحظ أيٌّ منهم أن ويلفريد لم يكن حينذاك معهم .

الفصل الثامن



الذهاب لإنقاذ كوني

ـ «من فضلك ، إنني أملك شلناً واحداً ، وأريد السفر إلى لندن» .

ـ «حسناً ، الشلن لن يأخذك إلى هناك» .

قال الموظف في مكتب قطع التذاكر ،

ـ «والآن ، ياسيدي الصغير ، امضِ في طريقك» .

قال رجل ضخم ينتظر دوره .

- «ولكنني لم أحصل على تذكرتي ، كما تعرف» .

قال ويلفريد ناظراً إليه بعينين فيهما تأنيب لطيف .

- «أسرع اذن ، وخذ تذكرتك» .

قال الرجل .

- «أيمكنني الحصول على تذكرة إلى لندن ؟» .

سأل ويلفريد الآن بقلق شديد ، وقد اصطبغ وجهه بحمرة الخجل .

مال الموظف إلى الأمام لينظر من خلال الشباك .

- «عجباً ! . إنك مجرد فتىً صغير» .

قال الموظف ،

«ستسافر بنصف الثمن» .

- «نعم»

قال ويلفريد بأمل متجدد .

«انني في السابعة من العمر . سأكون في الثامنة ، مع ذلك ، في عيد الميلاد» .

وشدّ قامته إلى أعلى .

- «حسناً ، أعطني ثمانية شلنات وبنسين إذن» .

- «ولكنني أملك شلناً واحداً فقط» .

- «أوه ! ، هيـا ، عليك أن تبتعـد ، الشلن لايكفي ثمنا

لتذكرة ، كما تعرف» .
ـ «ولكن سفـري استثنـائي جـداً ، ومن الضروري أن أسافر» .
ألحّ ويلفريد ، وقد تغير لون وجهه ، وأصابت عينيه الزرقاوين غشاوة .
«اختي الصغـيرة ، واقعة في مـأزق كبير .... مـأزق كبير ، ياسيدي ، وقد كتبت لي رسالة لأسافر إليهـا من أجل إنقاذها» .
ـ «لافائدة من ذلك ياسيدي ، لا أستطيع منحك تذكرة ، مالم تكن النقود كافية لذلك»
ـ «أوه ياعزيزي !» .
قال ويلفريد ، وشفتاه ترتعشان ، بينما رفع كفه ليمسح دمعة . إنه لايعرف ماذا سيفعل ؟. كان متأكداً من أنه لايستطيع السير على الأقدام إلى المدينة . واذا كان القطار لم يصنع لنقله من دون شراء تذكرة ـ حسناً ، فأنه لن يسافر . ولكن كوني استنجدت بفروسيته .
واعتقـد أنه لايمكن أن يكـون فارسـاً ، اذا تركهـا تستنجد بلا جدوىٰ ودفعه الرجل الضخم جانباً ، فاقداً صبره في الحصول على تذكرة ، وهو يقول :
ـ «ابتعد عن الطريق . القطار سيأتي الآن ، كما تعرف» .

وتساقطت دموع ويلفريد بسرعة . ولكن في تلك اللحظة ، أمسكت يدان قويتان شابتان بكتفه ، وهمس في أذنه فتىً قوي حسن الملابس ، يبلغ من العمر زهاء أربع عشرة سنة ، قال له :

- «لاتبكِ ، أيها الشاب الصغير ، سآتي إليك ، واضعك في الطريق إلى لندن» .

توقفت دموع ويلفريد ، وتطلع إلى وجه الفتى وسأله :

- «هل أنت فارس ؟» .

- «فارس ؟ ... كلا . اسمي جونسون» .

قال الفتى وأضاف :

«والآن اذهب إلى ذلك المقعد» .

وركض ويلفريد إلى هناك من فوره ، وفكر مع نفسه .

- «جونسون ، إنه شاب لطيف . ولكن ماذا يعني بقوله انه ليس فارساً» .

- «هيا» .

قال جونسون منضماً إليه .

يجب عليك أن تفعل ما أخبرك به تماماً ، وسأوصلك إلى لندن . والآن ، سندخل عبر ذلك المدخل ، وسيطلب مني الموظف رؤية تذكرتي . ولكن اذا طلب ذلك منك ، فعليك الاّ تجيبه . يجب ان تسير من دون أن تلتفت ،

وسأجعل ذلك يمرّ بسلام» .

وعلى ذلك ، اجتاز الفتيان الموظف ، الذي كان يقرض التذاكر ، ومن دون أية صعوبة على الإطلاق . لأنه عامل ويلفريد كرفيق لأحد المسافرين . ثم صعدا إلى القطار ، وبحث الفتى الأكبر (جونسون) في عدة مقصورات من الدرجة الأولى ، حتى عثر على مقصورة فارغة .

ـ «اقفز إلى الداخل» .

قال لويلفريد .

«والآن عليك أن تفعل ما أقوله لك . اختبىء تحت المقعد ، بسرعة ، وسأغطيك بمعطفي» .

لم يحب ويلفريد ذلك . وبدأ يفكر أنه ربما كان يرتكب خطأً . ولكن كيف يمكنه أن يصل لندن ، ان لم ينفذ مايطلبه منه جونسون ؟

زحف تحت المقعد وألقى جونسون بمعطفه على المقعد ، فتدلى مغطياً ويلفريد ، بحيث أخفاه تماماً عن النظر .

ثم مال جونسون إلى نافذة القطار ، وراح يحدق بشراسة وقسوة في وجه كل شخص يقترب من العربة ، لذلك لم يرغب أحد في الدخول إليها . ثم أغلقت الأبواب بضجة عالية ، وتحرك القطار .

وحين خرج القطار ، تماماً ، من المحطة ، طلب جونسون من ويلفريد أن يخرج من مخبئه . وهكذا فعل ، وهو يبدو خائفاً جداً .

ثم قال له الفتى الأكبر :

- «يجب علينا أن نكون خفيفي الحركة» .

قال ضاحكاً :

«والاّ سينكشف أمرنا ، وقد يرسلوننا إلى السجن . ولحسن الحظ ، انني أعرف هذا الخط على نحو جيد جداً ، ولديّ فكرة عن مواقع المحطات . والحقيقة أن هذا القطار السريع ، يتوقف في ثلاث محطات فقط ، لذلك فنحن في أمانٍ إلى حدّ ما . ولكن تذكّر ، إذا دخل أي شخص إلى هذه المقصورة ، فعليك أن تصمد في مخبئك طوال الوقت» .

أومأ ويلفريد برأسه ، ثم قال متلعثماً :

- «ولكنني أقول ، إذا سمحت ، انني خائف ، لأن هذا قد يكون غير سليم . فاذا أرسلونا إلى السجن ، عند انكشاف أمرنا ، فهذا يعني اننا ارتكبنا جريمة» .

- «جريمة !.. هراء ! . الموظفون ملزمون بالمحافظة على قوانين شركة السكك ، هذا كل ما في الأمر . ولكن نحن لم نتعهد بالمحافظة على تلك القوانين . ثم كم هي الزيادة

التي تفترض ان وزنك الضئيل يضيفها إلى هذا القطار الثقيل الضخم ؟. ربما كان وانت داخله ، مثلما هو وأنت خارجه ، مع كل فرق الوزن الذي تسبّبه» .

ومطمئناً إلى هذه البراهين ، ومعتقداً أن ماقاله فتىً كبير كهذا ، وثيقة شديدة ، لابد أن يكون صحيحاً ، لم يقم ويلفريد بأي اعتراض آخر . ولكنه لم يتمتـع كثيراً بركوب القطار إلى لندن .

فقـد اكتشف على الفـور ، أن رفيقـهُ لايشبـه عـلى الاطلاق ، فرســان السيف الذهبي ، والحكـايات التي رواها جونسون له في أثناء السفر ، بينت أنه لم يكن فتى صالحاً مستقيماً . وقد احمرّت وجنتا ويلفريد وسخنتا وهو يصغي . فهذا الفتى ـ جونسون ـ باعترافـه هو ، غشاش ، كذاب ، وسارق كذلك . وما كان أسوأ ، هو أنه تفـاخر بكـل هذه الأفعـال السيّئة ، وحـاول أن يجعل ويلفريد يعبّر عن استحسانه لها .

ولكن الفتى الصغير فضل ، وبشجـاعة ، أن يظهـر بمظهر الغبيّ خيراً من أن يمتدح سلوكاً يعرف أنه سيء . وبهذه الطريقة أثبت ، وهذا ما لم يعرفه هو ، أنه يمتلك روحاً فروسية حقيقية .

ـ «حسناً ، عليّ أن أقول انني أعتقد انك غبي صغير !» .

قال جونسون أخيراً ، وقد ضجر من صمته المستمر .

«عجباً ، انك لم تبدِ أية ملاحظة تلقائية واحدة ، منذ أن بدأنا !» .

لم يعرف ويلفريد ماتعنيه كلمة (تلقائية) ، ولكنه كان خائفاً ومن عدم تحدثه هكذا ، والحديث مطلوب في المجاملات ، لهذا أخيراً ، وبعد صمت طويل ، قال :

- «أظن ان الرجل الذي يبيع التذاكر ، لم يكن شخصا متفهماً جداً» .

- «هه ! ماذا ؟» .

صاح جونسون مصفّقاً بيديه ، وهو يحشر كعكة كاملة في فمه (انه يشتري وجبات طعام خفيفة في كل مرة يتوقف فيها القطار في محطة ، ويأكلها كلها وحده تقريباً» .

- «أية تهمة تلك التي القيتها على قاطع التذاكر في ويكفيلد ؟» .

وكرر ويلفريد قوله انه لايظن ذلك الرجل متفهماً جداً ، وضحك جونسون من ذلك ، ثم سأله :

- «ولم لا ؟» .

- «لأنني أخبرته أنني مطلوب على نحوٍ استثنائي للذهاب إلى لندن ، ومع ذلك لم يعطني تذكرة» .

قال ويلفريد .

ـ «انه على حق ، مع ذلك ، فهو يطيع الأوامر» .
ـ «أهو خطأ منه ، ان يعطيني تذكرة مقابل شلن واحد بدلاً من ثمانية شلنات وبنسين ؟» .
ـ «طبعاً ـ مالم يدفع الفرق من جيبه الخاص» .

وبعد ذلك ، صمت ويلفريد مدة طويلة . كان قلبه مثقلاً ، وشعر أنه كان ينبغي عليه ألّا يأتي من دون تذكرة سفر . ثم أخفاه جونسون بسرعة تحت المقعد ، وتوقف القطار للمرة الأخيرة قبل أن يصلوا منطقة (كنغ كروس) .

حاولت سيدة عجوز أن تدخل إلى المقصورة ، ولكنها تراجعت وانسحبت بسبب الطريقة الخشنة القاسية التي حملق بها جونسون نحوها .

ثم أدخل صبي صغير خائف إلى العربة من قبل والده الذي قال لجونسون :

ـ «أأنت ذاهب الى كنغ كروس ؟» .
ـ «نعم» .

ردّ جونسون .

ـ «ان ابني خائف نوعاً ما . انه ذاهب إلى هناك وستستقبله سيدة عجوز» .
ـ «سأحرص على أن أسلمه لها بسلام» .

قال جونسون .

- «شكراً لك ، اشكرك جزيل الشكر» .

واصل القطار رحلته . تحرك ويلفريد قليلاً ، متصوّراً أن بامكانه النهوض ، مادام أن المسافر صغير جداً . ولكن جونسون ضربه بحذائه ، كإشارة له ليبقىٰ ساكناً .

- «أوه ، أوه ! ما الذي يوجد تحت المقعد ؟» .

قال المسافر الصغير ، وقد بدا وجلاً .

- «انه كلبي فحسب ، ومن الأفضل تركه ، والاّ فقد يعضّ» .

قال جونسون ضاحكاً .

ولكن الصبي الصغير الجبان ، لم يعد جباناً الآن .

- «انني مولع بالكلاب» .

قال وهو يرفع المعطف ناظراً مباشرةً الى أسفل نحو وجه ويلفريد المحمرّ جداً .

لن ينسىٰ ويلفريد أبداً ، الرعب المرتسم على وجه الطفل الذكي . فقد نهض ببطء عن أرضية العربة . ونقل المسافر الصغير نظراته من ويلفريد إلى جونسون ، ثم قال متأنياً :

- «أمي تقول : ان هناك شيئاً واحداً في العالم يجب أن نخشاه ، تلك هي الخطيئة . لقد كذبت ، والله لايحب

الكذّابين . إنه سيعاقبك» .

وأدار جونسون وجهه بغضب ، وأخذ ويلفريد يبكي .

ـ «لماذا تخبّيء نفسك تحت المقعد ؟» .

سأله الصبي الصغير .

ـ «لأنني لا أملك تذكرة سفر» .

وبكى ويلفريد باضطراب .

ـ «أأنت مسافر من دون تذكرة ؟» ،

سأله الطفل ببطء شديد .

ـ «نـ .. نـ .. نعم» .

قال ويلفريد باكياً .

ـ «انك سارق .. لصّ إذنْ» .

قال الطفل .

ـ «أوه ، كلا .. إنها ليست سرقة» .

وبكىٰ ويلفريد ، واضاف :

ـ «يقول جونسون إن وزني القليل لن يضيف أية زيادة» .

ـ «المشكلة ليست في الوزن . انها في وجودك هنا»

قال الغريب الصغير بثقة تامة ، وأضاف :

«أبي يعرف رجلاً سافر مرةً في رحلة بعيدة من دون أن يقطع تذكرة ، وقال ان ذلك الرجل لص ، والرجل نفسه يعرف ذلك ، على الرغم من أن الآخرين لايعرفون» .

ـ «انك متزّمت صغير !» .

قال جونسون ملتفتاً إليه بوحشية .

«انك لم تمضِ عشر دقائق في هذا القطار . ومع ذلك فقد اكتشفت أنني كذاب ، وهو لص» ـ مشيراً إلى ويلفريد ـ «إذا قلت كلمة أخرىٰ من هذا النوع . فسأرميك إلى الخارج من النافذة» .

أجهش الطفل بالبكاء ، وارتعش جسده النحيل ، وبدا مرتعباً جداً بحيث أن روح ويلفريد الخيّرة استيقظت .

ـ «لاتبكِ هكذا» .

قال ويلفريد ، واضعاً ذراعه حول الكائن الصغير .

«ذلك الفتى ، عفواً ، السيد جونسون ، طيب تماماً ولطيف جداً . تعرف ، أنه لن يؤذي ذبابة . ولكن هذه هي طريقة كلامه فحسب !. وتعرف أنه يصعب تحمل إطلاق الشتائم ، فأنا لا أحب أن أدعىٰ لصاً ، وأنا متأكد من أن السيد جونسون لايريد أن يدعىٰ كذّبا» .

رفع المسافر الصغير رأسه وقبّل ويلفريد متشبثاً به .

ـ «إنك لطيف جداً» .

قال الصغير حالما تمكن من الكلام ،

«حين أؤدي صلواتي هذه الليلة ، فسأطلب من الله أن

يغفر لك . فقد غفر للصّ ذات مرة ، هكذا يقال» .

ـ «ألاتكفّ عن ثرثرتك ؟» .

قال جونسون بلهجة مرعبة جداً ، بحيث إن ويلفريد خاف بقدر خوف الغريب الصغير تقريباً .

لم يتكلم جونسون مرة أخرى ، حتى اقترب القطار من (كنغ كروس) ، فطلب من ويلفريد بخشونة ، أن يختبيء تحت المقعد حتى ينتهي جمع التذاكر ، بحيث ان الطفل ، وهو الآن خائف على نحوٍ فظيع ، سارع متهوراً للاختباء هو أيضاً .

وبعد أن سلّم جونسون والغريب الصغير تذكرتيهما ، مضى جامع التذاكر ، فقال جونسون لويلفريد انه يستطيع الخروج الآن .

ـ «لن يكون هناك أي خطر بعد الآن !» .

قال جونسون .

قال ويلفريد مفكراً :

ـ «لديّ شلن واحد . هل ألقيه على المقعد ؟» .

ـ «لماذا ؟» .

سأله جونسون بغضب .

لم يتكلم ويلفريد ، فقال جونسون .

ـ «اتعني أنك بذلك تسدد جزءاً من ثمن رحلتك ؟» .

ـ «نعم» .
ـ «عجباً !» .
قال جونسون بازدراء ، ثم أضاف :
«ماهذا ! . اذا وضعتـه على المقعـد ، فلن يصل إلى شركة السكك الحديد .
إنّه سيُلتقط ببساطة ، من قبل أول شخص يراه . وفضلاً عن ذلك ، عليك أن تستأجر عربة ، كما تعرف ، لتوصلك إلى البيت الذي تقيم فيه أختك ، وأنت تحتاج الى ذلـك الشلن لتدفعه لصاحب العربة» . توقف القطار ، وخرجوا منه جميعاً .
وسلّم جونسون الطفل إلى سيدة عجوز كانت تبحث عنه بانفعال شديد ، وهي تقول مرة بعد مرة :
ـ «عليّ أن استقبل ولـداً صغيراً ، أرجـوك ، رأيت ولداً صغيراً ؟» .
ـ «انه هنا ياسيدتي» .
قال جونسون .
«وأرجو أن تعلميه حسن السلوك» .
ـ «وداعاً» .
قال ويلفريد للولد الصغير ، ثم أضاف هامساً :
«سـأدفع لشركـة السكك الحـديد ثمـانية شلنـات

وبنسين ، وهي أجرة سفري ، حين أكون رجلاً» .
ـ «ما أسعد شركة السكك الحديد بهذا !» .

قال جونسون وهو ينصت لما يقوله ويلفريد ، ثم ضحك بصوت عالٍ ،. وقال لويلفريد :

«والآن أيها الشاب الصغير ، لقد قدمت لك رحلة طيبة . فانك لن تكون هنا أبداً ، لو لم اساعدك أنا ، وأخشىٰ أن تشعر بأي شيء عدا عرفان الجميل . ولكن هذه هي عادة الناس !. أسرع واتبعني ، حتى أراك تستقل العربة» .

الفصل التاسع



خيبة الفارس الصغير

ـ «ثمانية عشر بنساً ، من فضلك ياسيدي» .

ـ «أوه ! ولكن لديّ شلن واحد فقط» .

قال ويلفريد في ذعر ، متطلعاً الى وجه صاحب العربة القاسي .

ـ «ثمانية عشر بنساً ، هذه هي أجرتي» .

دمدم الرجل .

ـ «ولكنني مجرد صبي صغير» .

قال ويلفريد بلباقة

«وأظن أن وزني ليس له أي تأثير ، كما اعتقد أن وزني أيضاً ، لم يتعب حصانك ولو قليلاً» .

ـ «ليست هذه المشكلة» .

قال صاحب العربة ، واضاف :

«المشكلة هي : هل قدمت لك خدمة توجب عليك دفع ثمن «لها ؟» .

ـ «ولكن ، أرجوك ، لديّ شلن واحد فقط» .

قال ويلفريد بحزن شديد ، لأنه بدا لنفسه أنه يحتال على جميع الناس من حوله ، وكان قلبه مثقلاً بشأن الذنوب التي ارتكبها ، والديون لايستطيع تسديدها .

كان صاحب العربة منفعلاً . فصعد إلى عربته من دون أية كلمة أخرى . وقرع ويلفريد جرس باب البيت الشامخ الذي كان يقف عنده . وفي غضون دقائق قليلة فتح الباب من قبل خادم ، راح ينظر إلى الفتى الصغير مترفّعا بقامته المديدة .

ـ «من فضلك ، هل أختي ـ الآنسة كوني كليفورد ـ هنا ؟» .

سأله ويلفريد .

- «الآنسة كليفورد ياسيدي» .

قال الرجل بلهجة استغراب .

«أعتقد أنها هنا . هلاّ دخلت الى الحفلة ياسيدي ؟» .

- «حفلة ! كلا ! لقد جئت من أجل - ذاك هو ، أعني ، أنني جئت لكي أراها» .

قال ويلفريد باضطراب .

- «سرْ في ذلك الطريق ياسيدي» .

قال الرجل بأسلوب مهذب ، مرشداً ويلفريد إلى الصالة ، ثم رجاه أن ينتظر لحظات ، ثم غاب .

كان الظلام يتزايد في الخارج ، ولكن في داخل المنزل ، كان هناك مصباح ضوء واحد .

وبينما كان ويلفريد واقفاً هناك ، واهناً متعباً ، سمع أصواتاً مرحة لأطفال كثيرين ، تأتي إليه عبر السلالم العريضة . وعلى الفور كان واثقاً تقريباً من أنه سمع ضحكة رنّانة هي ضحكة أخته كوني . وشعر بشيء من الاشمئزاز .

فحين تواجه أخطاراً عديدة ، قاطعاً عشرات الأميال ، لانقاذ شخص ما من محنة ، وعندما تصل إلى نهاية الرحلة ، وتجد ذلك الشخص الذي جئت لانقاذه ،

يضحك بافراط ، فذلك يجعلك تشعر بشيء من الجنون .
دسّ ويلفريد يده في جيبه . نعم، هناك في جيبه رسالة تخبره عن بؤس كوني ، وتستنجد بفروسيته . ولكن ، مرة أخرى ، سمع ضحكة مرحة رنّانة من كوني .

ـ «سِرْ في هذا الطريق من فضلك ياسيدي» .

قال الخادم الذي عاد ليقوده عبر السلالم إلى الطابق العلوي .

«هناك أقيمت حفلة ، كما ترى ياسيدي» .

ثم أوضح له الخادم مايقول :

«إنها حفلة أطفال . حفلة عيد ميلاد الآنسة كليفورد الصغيرة ، وهذه هي مناسبة الحفلة» .

ـ «أوه ! لقد نسيت عيد ميلادها تماماً» .

قال ويلفريد ، وأضاف ،

«ولكنني ، أقول ، توقف أرجوك ، أريد التحدث إليك» .

ـ «أتشعر أنك في حال ٍ غير جيدة ؟» .

سأله الرجل متطلعاً إلى الوجه الصغير الذي صار الآن شاحباً عديم اللون تقريباً .

ـ «أوه ، ليس هناك من شيء غير عادي ، أشكرك . لقد قطعت مسافة طويلة ـ عبر أخطار عظيمة . قلْ لي ، فأنا

أريد أن أعرف ـ هل هي تعيسة جداً ؟» .

كان يحاول أن يقنع نفسه ، حتّى وهو يطرح هذا السؤال ، بأن الضحكة التي سمعها لم تكن ضحكة كوني .

ـ «مَنْ ياسيدي ؟ . الآنسة كليفورد تعيسة ؟ . كلا ، يا إلهي !» قال الرجل ، وأضاف :

انها أكثر الفتيات الصغيرات حيوية وسعادة ، ياسيدي ، وأرجو عفوك ، إنها أكثر سمنةً ممّنْ في عمرها ، وهذا لم أشاهد له مثيلاً منذ زمنٍ طويل» .

ـ «انظر هنا» :

قال ويلفريد ، ساحباً رسالة كوني من جيبه ، وفتحها بحيث ان الرجل لاحظ الكلمات الكبيرة الحجم ، والسطور المائلة من أعلى إلى أسفل .

ـ «تقول أمي : إن علينا الا نعرض رسائل لأناس لم تكتب لهم ، ولكنني ...»

ثم قال ويلفريد بحسم ..

«أقول لك بشرفي ، ان كل شيء قد كتب هنا . كوني بائسة ، وتطلب مني المجيء إليها وإنقاذها . وها أنذا جئت ، وانك لن تستطيع إقناعي بأنها سعيدة ، لن تستطيع ـ لقد جئت وأنا في ضيق عظيم

ـ «ضيق عظيم ـ وعبر أخطار عديدة لإنقاذها» .

فقال الرجل في دهشة :

ـ «عجباً !. حسناً . انك نبيل صغير ! ولكنني لم أسمع في حياتي قط ، بحكاية كهذه ، ياللعجب !» .

وعندئذ فتح باب عند منبسط السلالم ، حيث وصلا ، ورأى ويلفريد في لمحة واحدة ، زهاء عشرين طفلاً صغيراً . فتيانا وفتيات ، يلعبون في غرفة جميلة واسعة .

كانت كوني بارزة من بين الجميع ، إذْ كانت ترتدي ثوبا أبيض ، وتبدو متورّدة وبصحة جيدة ، وفوق كل ذلك ، كانت تفيض سعادة ومرحا .

الفتى الصغير المرهق الذي جاء لينقذها من بؤس شديد ، اتّكأ على مدخل الباب ، وامتلأت عيناه بالدموع .

ليست هناك من حاجة ـ إذن ـ إلى فروسيته . وفضلاً عن ذلك ، كان ينبغي عليه أن يبقى مستريحاً في مدرسته . وكان يجب على كوني ألّا نرسل تلك الرسالة ، لتأتي به إلى هنا بمزاعم باطلة .

سخط ، وخيبة ـ ربما كان عليه أن يكون مسروراً حيث وجد أخته سعيدة بدلاً من أن تكون تعيسة ، ولكنه لم يكن كذلك حينذاك ، فجعله الإعياء يبكي بمرارة شديدة .

ـ «آنسة كليفورد» .

قال الخادم وهو يتقدم نحوها .

«هذا أخوك الصغير ، جاء عبر مسافة طويلة ليراك» .

ـ «ويلفريد» .

صاحت كوني راكضة نحوه ، لنطوق عنقه بذراعيها .

«انت ياعزيزي ، أيها الولد الغالي ، تقدم لي هذه المفاجأة السارّة في عيد ميلادي . ولكن ما الأمر ؟» .

قالت وقد تغير تعبيرها حين لاحظت على وجهه آثار الخيبة والانهيار . وأضافت :

«هل أنت واقع في ورطة . أوه ياعزيزي ! أكانوا قساة معك في المدرسة ؟ . هل هربت ؟» .

هربت !!. أبعد ويلفريد ذراعيها السمينتين عنه ، وأدار وجهه عنها متذمراً . كان ذلك الأمر سيئاً . فقد جاء ليريحها من مأزقها ، فها هي الآن تحاول أن تريحه من مأزقه هو .

توقف ضجيج الأصوات المرحة ، واقترب الضيوف الصغار وأطفال السيدة ميريت ينظرون في دهشة الى الأخ والاخت معاً . ثم دخلت إلى الغرفة امرأة طويلة ، ترتدي القطيفة السوداء ، وتضع على رأسها ربطة جميلة .

سألت هذه المرأة قائلة :

ـ «ما معنىٰ هذا ؟ . كوني ، أهذا أخوك ؟» .

ـ «نعم» .

قالت كوني بلهجة مذعورة .

«لقد جاء الآن ـ إنه يبكي . ويلفريد تحدث إلى الخالة ميريت» .

ـ «ويلفريد !. اخوك الصغير ! ماذا يفعل هنا ؟» .

سألت الخالة ميريت بقسوة ، وأضافت :

«تكلم أيها الصغير ، بسرعة ، ما الأمر ؟. كيف جئت إلى هنا ؟» .

تطلع ويلفريد بنظره الى أعلى وقال :

ـ «جئت بالقطار» .

ـ «وكيف سمح لك الدكتور والسيدة ميتكالف بالمجيء ؟. هل جاءا هما أيضاً ؟» .

ـ «كلا» .

ـ «هل بعثا بك إلى هنا ؟» .

ـ «كلا» .

ـ «هل هربت ؟» .

ـ «جئت إلى هنا من دون استئذان» .

قال ويلفريد .

«لأنني ظننت ـ ظننت أن كوني بها حاجة ماسّة إليّ» .

ـ «بها حاجة ماسّة إليك ؟» .

صاحت خالته بغضب .

«ماذا تقصد ؟. انظر إليها . أيبدو عليها أن بها حاجة ماسّة إليك ، كما تزعم ذلك ؟» .

نظر ويلفريد إليها ، وشعر بارتباك شديد . ومع ذلك ، فقد تذكرّ أن لديه أسباباً للاعتقاد بأنها كانت تعيش في ظروفٍ مختلفة .

- «انتظري لحظة أرجوك» .

قال لخالته ، ثم أخرج الرسالة من جيبه ، وسلّمها إلى كوني التي بدأ يظهر عليها الارتباك أيضاً .

قالت كوني :

- «أوه ياعزيزي !. إنها رسالة قديمة ، قديمة جداً ياخالتي ... إنها قديمة جداً . فقد كتبتها حين جئت إلى هنا ، وأعطيتها لشخص ليضعها في البريد - و ... لم يضعها في البريد الاّ قبل بضعة أيام ، والآن قد مضى شهر على هذه الرسالة ،.. نعم ، لقد كنت اشعر بالشوق إلى بيتنا ، وكنت تعيسة حينذاك ، وتعرفين انني كنت كذلك ياخالتي العزيزة» .

ثم واصلت مرافعتها :

«نعم .. لقد كنت تعيسة ياويلفريد ، ولكن ليس الآن . فأنا سعيدة جداً . وأفضل البقاء مدة طويلة . أوه !

فلأجل أي شيء جئت ياويلفريد ؟» .
ـ «أتعنين أنك لم تطلبي مني المجيء اليك وانقاذك ؟» .
سألها متلعثماً ، وهو يلتقط الرسالة التي طرحت جانباً .
ـ «كلا ، ياعزيزي ، كلا !» .
قالت كوني وأضافت :
«لا أريد أن أرحل عن هذا المكان ، حتى يعود أبي وأمي إلى البيت» .
ـ «ولاتريدين الخلاص أو الانقاذ ، أو أي شيء آخر ؟» .
سألها ويلفريد بلهجة تثير الشفقة .
ـ «كلا .. كلا أوه !. أتمنّى لو لم تأتِ» .
تذمّرت كوني في رعب من محيّا خالتها الغاضب المذهول .
«لقد كنت سعيدة جداً ، حتى جئت أنت !» .
مسكين ويلفريد الصغير . كانت تلك مصيبة بعد مصيبة .
ـ «كيف تجرؤ على المجيء من مكان بعيد من دون استئذان ؟» .
سألته خالته ، وأضافت :
«أما قلت أيّ شيء عن مجيئك إلى هنا للدكتور والسيدة

ميتكالف ؟»

- «طلبت منهما السماح لي بالسفر» .

قال ويلفريد

«وكان السيد ميتكالف متفهماً ومتجاوباً معي . قال إنـه يسمح لي إذا وافقت السيـدة ميتكالف عـلى ذلك . ولكنها رفضت . إنها الوحيدة التي رفضت» .

- «اتوقع منها أن ترفض طبعاً !. أي فتى سيّء السلوك أنت ، لتأتي إلى هنا من غـير اذن !. وكيف حصلت على النقود ؟» .

وأحس ويلفريد كما لو أنه سيغوص في الأرض . كان الاطفال يصغون جميعاً . نظر مستغيثاً إلى خالته . كان وجههاصارماً جداً .

ونظر إلى كوني لتتعاطف معه ، ولكن وجهها كان يتميز بالغيظ الشديد ، وقد قطّبت حاجبيها .

- «كيف حصلت عـلى النقـود لتـدفـع اجـرة السفـر بالقطار ؟» .

كررت خالته سؤالها . فقال :

- «أرجوك ياخالتي ، لقد جئت من دون تذكرة سفر . فقد سمح لي فتىً أكبر مني بالركوب معه . أرجوك ياخالتي ، لقد قال لي انني ولد صغير جداً ، بحيث لا أضيف فرقاً في

الوزن إلى القطار الكبير» .

حتى السيدة ميريت لم تتمالك نفسها عن الابتسام إلّا بجهد ، مع أنها تعتقد ان الواجب يتطلب منها الصرامة والتجهّم ، قالت السيدة ميريت :

- «انت أيها الولد الشرير ، لقد قمت بعمل شائن جداً» .

وامتلأت عينا ويلفريد بالدموع مرةً أخرى ، وبكى حتى أوشك قلبه أن يتفطر .

- «سافر من دون تذكرة سفر !؟» .

همس بعض الاطفال الى بعض .

- «انه ليس ولداً طيباً . فلا عجب ان غضبت خالته» .

كانت كوني تبكي هي أيضاً مرة أخرى ، ثم قالت حين تمكنت من الكلام :

- «أوه ياويلفريد !. انك ولد سيء حقاً . انك تفسد حفلة عيد ميلادي كلها . ماذا يمكن أن تقوله أمي ؟» .

كانت الجملة الأخيرة أشدّ ممّا يستطيع ويلفريد تحمّله . فمعرفة أن أمه يمكن أن تتفهّم الموقف ، وتعرف نواياه الطيبة وتقف الى جانبه ، كانت تشكل لديه حتى الآن اطمئناناً عظيماً .

وتغير لون وجهه فشحب بشدة ، بحيث ان خالته رأت أن الوقت حان لوضع نهاية للمشهد ، فقالت :

- «عليك ان تعود غداً إلى المدرسة . ستعيدك خادمتي . انك فتى صغير أحمق ، سيء السلوك ، غير مطيع ، وعليك أن تذهب إلى النوم فوراً . كلا ، ياكوني ، لاتذهبي معه ، عودي إلى أصدقائك . انه تصرف سيّء أن تكتبي تلك الرسالة» .

ثم أمسكت السيدة ميريت بيد ويلفريد ، وقادته إلى غرفة المربية ، حيث سلمته لعنايتها ، فأطعمته المربية ، ووضعته في الفراش كما لو كان مجرد طفل صغير .

لم يشعر على الإطلاق ، عندئذ أنه يشبه فارساً ، فبكى حتى غلبه النعاس فنام ، بعد أن تركته المربية .

كان في البداية قلقاً جداً ، ولكن عند الصباح صار أكثر هدوءً ، وحلم أنه رأى دايودون فارس السيف الذهبي عائداً من ذبح التنّين . وسأله ، في الحلم ، عن شعوره ، وعندئذ ردّ الفارس قائلاً :

- «ليس جيداً جداً كما يمكن أن تتوقع ، شكراً لك . لقد قتلتُ التنّين ، نعم ، ولكن كان علي أن أفكر : هل هو صواب ، ما أفعله ؟. أعرف الآن أنه ليس صواباً ما فعلتُه ، من دون إذن الزعيم الكبير» .

- «لقد ارتكبت خطأً أنا أيضاً» .

قال ويلفريد متنهداً ، ثم استيقظ ، واكتشف أنه كان

نائماً في فراش غريب ، ولكن قبل أن يفكر : أين هو الآن ، غرق في النوم مرةً أخرى .

وفي غرفة نومهما ، كانت السيدة ميريت تقول لزوجها :

ـ «سيتسلّم الدكتور ميتكالف برقيتك القائلة بأنه هنا معنا ، وستعيده خادمتي غداً .. طبعاً ، أشعر أنه من واجبي أن أوبخّ الطفل ، ولكن أي روح شجاعة يمتلكها ، وانها لفروسية منه ، أن يواجه الصعوبات هكذا ، وهو شجاع جداً .. جداً ، ليأتي لنجدة أخته الصغيرة التي تصوّر أنها في محنة رهيبة ! . لقد طلبت من المربية أن تأتيني برسالة كوني بعد أن يكون قد نام . وفي الحقيقة ، انها استغاثة قوية لطلب النجدة . كانت كوني تشعر بالحنين إلى بيتها على نحو بائس في ذلك الوقت ، وكانت مثقلة بأحزانها بلا رحمةً» .

ـ «ذلك الفتى الصغير ، سيكون يوماً ما رجلاً نبيلاً ، إذا تم توجيهه توجيهاً سليماً» .

قال السيد ميريت ، ثم أضاف :

«فروسية ، وشجاعة ، ونكران ذات ، ومثابرة . ماذا تريدين أكثر من ذلك ليتصف بها هذا الفتى ؟» .

ـ «أعتقد أن أمه ، قد تقول انه لابدّله من أن يكون مطيعاً ، وإلاّ فان كل هذه الصفات ، لن تنفع في جعله فتى ممتازاً ،

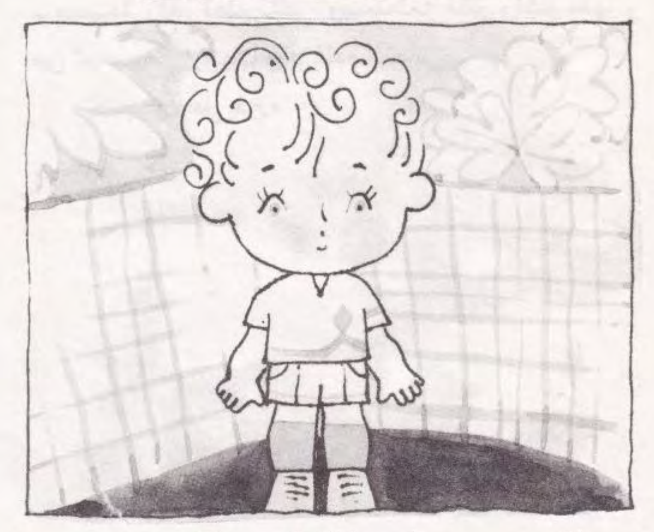
وبالتالي رجلاً عظيماً» .

ردّت السيدة ميريت بتأمل .

ـ «حسناً ، لقد تعلّم ذلك ، وسيتعلمه أكثر وأكثر منها ، من أمه» ، قال زوجها وقد غلبه النعاس .

«تصبحين على خير» .

الفصل العاشر



الحكم على الفارس الصغير

مسكـين ويلفريـد !. فليس لطيفاً جـداً أن يعاد الى المدرسة في اليوم التالي من قبل (لين) خـادمة السيـدة ميريت ، ويسلم باليد إلى السيدة ميتكالف ، كما لو كان طرداً بريدياً مرفقاً بالكلمات الآتية :

- «إليك تحيات السيدة ميريت ، ياسيدتي ، وقد أرسلت

إليك السيد كليفورد الصغير ليعود إلى المدرسة» .
- «أوه ، ويلفريد !.. ويلفريد ياصغيري ! لقد كنّا قلقين جداً بشأنك !» .

صاحت السيدة ميتكالف الطيبة القلب مأنبة إياه ، ولكن في لطف . رفع ويلفريد رأسه ، والتفتت السيدة ميتكالف لتتحدث إلى (لين) عن سيدتها ، وعن الوقت الذي وصل فيه ويلفريد الى بيتها ، وبعض التفصيلات الأخرى . وبينما لم تعيراه أي انتبهاه ، كانت أمام ويلفريد الفرصة ليصلح تصرفه السابق .
- «لم ألق سوىٰ المشاكل ، منذ أنْ حاولت أن أكون فارساً» .

فكر الفتى الصغير مع نفسه .

لم يسبق لي أن وقعت في مثل هذا العار ، ولم يسبق لي أن فكرت على نحو سيء في حياتي كلها . ذلك الصبي الصغير في القطار ، قال انني لص -وأنا أخشىٰ أنني كذلك أيضاً . كوني قالت إنني ولد سيء حقاً - لاداعي لأن تقول ذلك ، حين فعلت ذلك من أجلها . الخالة ميريت قالت انني ولد سيء السلوك ، على الرغم من أنها قالت هذا الصباح : انها تقدره كثيراً لنواياه الطيبة ، وانها لن تظنّ بي سوءً مرة أخرىٰ .

والسيد ميريت قال إنني فتى شجاع ، حين لم تكن خالتي تصغي إليه ، ولكنني لا أظن أنه تمكن من فهم الأمر على نحو صحيح . وبكت كوني هذا الصباح وقالت إنها تأمل أن أكون أكثر وعياً وتعقّلاً في المستقبل .

يا إلهي !، انها عودة فظيعة مع (لين) التي راحت تقول كل خمس دقائق : (لاتتكيء على النافذة ، فمن المحتمل أن تسقط خارج القطار) .

و(أبعد أصابعك عن ذلك الباب ، ياسيد كليفورد ، والاّ فقد يطبق عليها) ، تماماً كما لو انني لم أسافر من قبل قط بالقطار . وحين دخلت سيدة لطيفة إلى العربة ـ كانت تشبه أمي ـ وتحدثت معي بلطف شديد ، لم تكن (لين) محتاجة إلى أن تقول لي بحدّة : (ارفع رأسك حين تتحدث اليك السيدة ، ياسيد كليفورد) ، كما لو أنني لم اتحدث من قبل قط إلى سيدة . وعندئذ أخبرتْ تلك السيدة عن أمري ، قالت :

(نعم ايتها السيدة ، يظن البعض أنه لطيف ، ولكنه ولد سيء السلوك ، لقد هرب من المدرسة ، وأنا أعيده الآن إليها مرة أخرى) . ثم تذكرّ ويلفريد ، كيف بدت السيدة مذهولة ، وكيف قالت في لهجة خفيضة ،

ـ «آمل ألاّ يجلد بسبب ذلك ، ياللفتى الصغير

المسكين !» .

- «أنا واثقة من انني لا أستطيع الجزم بما سيفعلونه» .

أجابت (لين) بلهجة بدت مستنكرةً لتعاطف السيدة مع كليفورد . وأخذ ويلفريد يتساءل إن كان سيجلد بالعصا أم لا . لقد أخبره الأولاد أن الدكتور ميتكالف ، كان نادراً ما يستعمل العصا ، ولكن حين يفعل ذلك ، فلغرض ما .

وعلى نحو غريب ، شعر ويلفريد أنه لن يكون آسفاً جداً ، إذا جلده الدكتور بالعصا . إذْ يبدو أن هذا سيصحّح كل شيء مرة أخرى .

لقد ارتكب خطأ - إنه يعرف هذا - لذلك فهو يستحق العقاب .

انه شجاع ، حين يكون عليه مواجهة الألم الجسدي ، ولديه ضمير حسّاس - هو يعرف هذا - وحين أنَّبَهُ ضميره ، كان ذلك أسوأ من أيّ شيء آخر .

فجأة ، وحين كان يقف هناك ، من دون أن تهتم به - ظاهرياً - كل من (لين) والسيدة ميتكالف ، وردت إلى ذهنه فكرة الذهاب الى الدكتور ، وإخباره بكل شيء عن نفسه ، و - نعم - يطلب منه العقاب - ويسامحه .

واستدار نحو الباب لينفذ الفكرة

ـ «إلى أين أنت ذاهب ، ياويلفريد ؟» .
سألته السيدة ميتكالف متنبهة إلى حركته .
ـ «يجب ألّا تهرب مرة أخرى ياسيد كليفورد» .
قالت لين بحدة ، فألقى عليها ويلفريد نظرة لوم ، قالت عنها بعد ذلك ، إنها لن تنساها أبداً .
ـ «أرجوك ياسيدة ميتكالف» .
قال بوقار طفولي .
«إنني ذاهب الى الدكتور . أرجوك ، انني أريد أن أخبره بكل شيء عن الأمر» .
ـ «نعم ، افعل ذلك ياصغيري ، افعل» .
قالت السيدة ميتكالف بتلطّف واضح .
«فللدكتور قلب رقيق ، ولن يقسو عليك» .
ـ «الدكتور رجل متفهمّ جداً» .
قال ويلفريد لنفسه ، وهو ماضٍ في طريقه .
ـ «ادخل» .
قال الدكتور جواباً على طرقات ويلفريد المتردّدة على الباب .
دخل ويلفريد ، فرآه جالساً الى مكتبه يصحح كومة من كراسات اللغة اللاتينية ، وبدا الدكتور مرعباً ، وهو جالس هكذا ، مرتدياً نظارتيه ، ولكن الفتى الصغير

اقترب منه بشجاعة .

- «عفواً دكتور ميتكالف ، لقد عـدت ، وأرجوك ، انني آسف لانني ذهبت من دون إذنك - وهذه غلطة كبيرة» .

وأطلق حسرة نفذت إلى قلب مدير المدرسة .

- «أيها الفتى الصغير المسكين» .

قـال الدكتـور ملقياً يـده برفق عـلى رأس ويلفريـد المجعّد .

«أخشى أن تكون قد قضيت وقتاً مريراً . تعال ، يجب أن تخبرني عن كل شيء . اجلس على الكرسي . لاتتعجلْ ، فهناك الكثير من الوقت» .

جرّ ويلفريد كرسياً عالياً نحوه ، وتسلّقه ، ثم واجه الدكتور ميتكالف بمزيد من الثقة .

-« أينبغي أن أبدأ من البداية تماماً ، يا أستاذ ؟» . سأل ويلفريد .

- «نعم ، هكذا تماماً . متى بدأ كل هذا ؟» .

- «كان ذلك في بيتنا» .

قال ويلفريد بقليل من الارتعاش في صوته .

روتْ لنـا أمي حكايـة عن دايـودون ، أتعـرفـه يـا أستاذ ؟» .

- «لا أستطيع التأكيد . أخبرني الحكاية» .

ـ «دايودون ـ هذا الاسم يعني (هبة الله) يا أستاذ . قالت أمي انه كان ملائماً له ، لأن الله بعثه لمساعدة كل من كان في محنة . وقد فعل ذلك يا أستاذ ، كان فارساً من فرسان السيف الذهبي ، وقتل التنين ذات يوم . ألم تسمع بذلك حقّاً ؟» .

ـ «أظن انني سمعت ، ولكن استمر» .

قال الدكتور .

ـ «كانت شجاعة منه أنْ يقتل التنين ، ولكنه لم يكن عملاً صائباً ، لأنه قبل ذلك ، قد تعهد بأن يطيع الزعيم الكبير ، وهذا ما يدعو للأسف ، ولكن الزعيم الكبير أمرهم بالامتناع عن القيام بأية محاولة لقتل التنّين . وفكر دايودون أن ذلك غير معقول لأن التنين كان طوال الوقت ، يلتهم الرعاة الصغار المساكين ، والمسافرين ، مما يتطلب إيقافه عند حدّه ، وهكذا ذهب دايودون وقتل التنّين» .

ـ «حسناً ، ثم ماذا حدث ؟» .

ـ «أوه يا أستاذ ، هل نسيت القصة ؟. أمي تقول ان الجزء الأخير من القصة هو أفضل ما فيها ، ولكنني أفضل الجزء الخاص بقتل التنين ، أتعرف كيف فعل ذلك يا أستاذ ؟» .

ـ «أخشى ألّا أكون حسن الاطلاع على الموضوع . من

الأفضل أن تخبرني أنت» .

- «حسناً» .

قال ويلفريد بحيوية ، ناسياً وضعه الخاص الحرج ، ومتحدثاً إلى الدكتور ، كما لو كان صبياً صغيراً مثله .

«كما تعرف ، كان التنين مغطى كله بحراشف ضخمة قوية تثلم أو تصدّ أي سلاح يستعمل ضد التنين ، لذلك قتل كل مهاجميه بسهولة . ولكن دايودون ، وجد أن هناك جزءاً من جسمه غير محمي بالحراشف ، لهذا فكر أنه إذا جاء بعدد من الكلاب فتنبح على التنين ، وتجعله يستدير ويعرض الجزء المكشوف ، فقد يكون قادراً على إغماد سيفه فيه .

ولكن ليست هناك كلاب تود الأقتراب من التنين ، لأنها تخشاه . لذلك ذهب دايودون الى بلده ، وصنع دمية كبيرة شبيهة بالتنّين ، ودرّب بعض الكلاب ، على مهاجمتها والنباح عليها ، وطبعاً مادامت الدمية لاتؤذي الكلاب ، فالكلاب لاتخاف منها . ثم عاد دايودون الى ... - لقد نسيت اسم مكان التنين - ..» .

- «رودس» .

قال الدكتور مقترحاً .

- «أوه ، نعم !. شكراً يا أستاذ . أرى أنك تعرف القليل

عن القصة» .

انحنىٰ الدكتور وقال بصوتٍ خفيض وبلهجة اعتذار :

- «قليلاً جداً» .

- «رودس» .

واصل ويلفريد حكايته .

«وخرج بكلابه لملاقاة التنين الحقيقي ، فهاجمته الكلاب ، فاستدار ، وأغمد ديودون سيفه في الجزء غير المحميّ من جسمه وقتله» ،

- «وبعد ذلك ..» .

- «أرجوك يا أستاذ ! لاتقاطعني !»

صاح ويلفريد بانفعال :

«أين وصلت ؟. أوه ، لقد أرداه قتيلاً ، وكان الفرسان جميعاً مسرورين ، فاحتفلوا بدايودون واحتفوا به . وليثبتوا إعجابهم بشجاعته العظيمة ، حملوه على الأكتاف إلى زعيمهم الكبير ، ولكن يا أستاذ !» .

- «أأستطيع أن أتكلم ؟» .

- «ألا تستطيع الانتظار دقيقة ؟. لقد وصلت إلى الجزء الذي تفضّله أمي ، أما أنا - وهذا بيني وبينك - فلا أفضل هذا الجزء بقدر بقية القصة . لقد قال الزعيم الكبير : ان دايودون ، على الرغم من شجاعته ، غير

مطيع . وقال انــه لن يكون فــارساً بعــد الآن . (اخلع رداءك) .قال الزعيم ـ اسمع ، ان أمي تفضل هذا الجزء كثيراً ، وأظن أنني أفضله الآن كذلك ـ وخلع دايودون رداءه بأدب جمّ ، ثم أمسك بيد الزعيم الكبـير وقبّلها ، وعندئذ ـ مضى مبتعداً ، مطأطيء الرأس ، وعمّ الحزن الشديد قلوب جميع الفـرسان ، حتىٰ ـ لاتقـاطعني يا أستاذ ـ حتى وصل تمـاماً إلىٰ البـاب ، ناداه الـزعيم الكبير ..

(توقف !. ارجع يـادايودون ، ستكـون فارسـاً مرةً أخـرى . إلبس رداءك ، لأنك تغلبت عــلى .... أوه ! لا أستطيع قولها ـ أمي تعرف ذلك» .

ـ «تغلبت على ذاتك» .

قال الدكتور وهو يمسح زجاج نظارتيه .

ـ «نعم يا أستاذ ، هذا هو تماماً ، وهكذا كان دايودون فارساً ممتازاً شجاعاً في النهاية» .

وبعد صمت قصير ، قال الدكتور برقّة شديدة :

ـ «إنها حكاية جميلة ، ولكن ياصغيري العزيز ، ماعلاقة هذه الحكاية بهربك إلى لندن من دون استئذان ؟» .

ـ «أوه يا أستاذ !» .

قال ويلفريد ، وأضاف :

منذ أن روتْ لي أمي تلك القصة ، بدأت أحاول أن أكون فارساً . وبعد ذلك ، كتبت لي كوني تقول إنهـا في محنة كبيرة ، وتطلب مني أن أكون فارساً وأنقذها . إن هـذا لايشبه ـ ولو قليلاً ـ قتل التنّـين ، ولكنني صبي صغير جداً على فعل الكثير ـ وكان أمراً صعباً ، الذهاب إلى لندن بشلن واحد فقط» .

انتفض الدكتور ، إذْ إنه لم يسمع هذه التفصيلات من قبل .

ـ «هل فعلتها ؟ . ذهبت الى لندن بشلن واحد فقط ؟» .

ـ «نعم» .

فصاح الدكتور قائلاً : ـ

ـ «ياللعجب !. قسماً بشرفي !.. قياساً الى حجمك هذا ـ نعم ، إذا أخذنا بعين الاعتبار ، حجمك وعمرك ، فانك شجاع شجاعة الفارس دايودون» .

ولكن الرأس المجعّد كان يهتز ويتمايل بأسىً .

ـ «إننا لانسمّي اللصوص شجعاناً ، ودايودون لايمكن أن يكون لصاً» .

قال ويلفريد هذا .

ـ «لماذا ياولدي ؟ . إنك حتماً ، لم تسرقْ نقوداً من صبي ما ، لتسافر بها ؟» .

نهض ويلفريد عن كرسيّه ببطء ، وتقدم نحو الدكتور بوجه شديد الاحمرار .

- «سافرت بالقطار من دون تذكرة سفر» .

قالها ، هامساً بها في أذنه .

وانتفض الدكتور كما لو كان قد أصيب بطلق ناري .

- «لاتقلْ ذلك !» .

قال وهو يخـرج منديلـه ، ويخفي وجهه بـه لبضع ثوانٍ .

- «نعم ، لقد ساعدني فتىً كبير» .

وواصل ويلفريد حديثه بنبرة حزينة .

«قال إنني صبي صغير جداً لا أضيف فرقاً في الوزن إلى القطار الكبير ، ولكن هذا لم يكن صحيحاً ، وهو لم يكن فتى طيبـاً . فهناك صبي آخـر بنصف حجم ذلك الفتى - صبي أصغر مني يا أستاذ - كشف لي حقيقتي وقال : إنني لص» .

- «تماماً !» .

قال الدكتور محاولاً أن يبدو صارماً .

- «وحين وصلت إلى منزل الخالة ميريت يا أستاذ» .

واصل ويلفريد حديثه بنبرات أكثر حزناً .

«اكتشفت أن الأمر كله خطأ . كوني لم تكن بائسة ،

كانت تضحك يا أستاذ ، وقد أقيمت لها حفلة عيد ميلاد ، وقالت إنها كانت سعيدة جداً حتى أتيت أنا ، وانها كتبت تلك الرسالة قبل شهر ، حين وصلت إلى لندن لأول مرة ، وكانت عند ئذ غير سعيدة ، وحدث ان شخصاً مالم يرسل الرسالة في حينها بل أخرها إلى يوم آخر ، وليس هناك من تاريخ على الرسالة ياأستاذ . لذلك لم استطع معرفة ذلك .

وعندما قالت انني ولد سيء حقاً لهربي من المدرسة ، وذهابي إلى هناك وإفساد حفلة عيدميلادها ، بحيث جعلتها بائسة فعلاً» .

ثم بكى عند تذكره هذا الحادث ، وغمغم الدكتور من وراء منديله بشيء من الكلام ، لم يكن ، على أية حال ، في صالح كوني .

ـ «وقالت الخالة ميريت : إنني سيء السلوك ، ثم أرسلوا بي إلى الفراش لأنام . كان كل ذلك مخيفاً فظيعاً يا أستاذ . والآن أعادتني السيدة لين ، وأريد منك أن تعاقبني يا أستاذ .

أفترض أن العقوبة ستكون الجلد بالعصا ؟» .

ـ «كلا .. كلا . لقد عوقبت بما فيه الكفاية ياولدي ، فلن تضرب . وأنا واثق من أنك لن تفعلها مرة أخرى» .

- «لاتفعل ذلك فتعفو عني» .

قال ويلفريد هازّاً رأسه ببطء .

«لم يعفَ دايودون من العقاب ، فلقد عوقب ، وجعلت منه العقوبة رجلاً»

- «نعم جعلته رجلاً ... جعلته رجلاً» .

صاح الدكتور ، وأضاف :

«حسناً ، يجب أن أفكر بذلك مليّاً . لن أعاقبك بالطرد من المدرسة . لن يكون ذلك ، مادام أن أبويك في فرنسا ، وخالتك لم تحتفظ بك عندها . ومع ذلك ، فربما ينبغي علي أن أعاقبك ،. فقد تكون العقوبة عبرة للأولاد الآخرين ، كي لايقلدوك فيذهبوا في رحلات بعيدة من دون استئذان . نعم ، نعم .. أعرف أن لديك دافعاً جيداً ، ولكن من المحتمل أن يتوهموا أن لديهم دوافع جيدة أيضاً . وأظن أن علينا أن نختبر طاعتك . سيكون جميلاً جداً أن تبرهن على أنك مطيع . وإذا وجدنا أنك مثل دايودون تستطيع التغلب على .. على ماذا ؟ . ماهي تكملة العبارة ياويلفريد ؟» .

- «إنني أعرفها» .

قال ويلفريد وقد ارتسمت ابتسامة فوز صغيرة على وجهه الحزين .

«انها .. التغلّب على ذاتك» .

- «صحيح !» .

صاح الدكتور .

«والآن ياصغيري ، اذهب الى السيدة ميتكالف ، واطلب منها أن تعطيك بعض الطعام . سأعلن الحكم عليك ، عندما يتجمع كل الأولاد وقت تناول الشاي» .

شكره ويلفريد ، وذهب الى السيدة ميتكالف التي لم تطرح عليه أية أسئلة ، حين رأته شاحباً متعباً ، ولكنها قدمت له بعض الطعام ، ثم اضطجع على أريكة غرفة الجلوس ، فغطته وراحت تعزف برقّة على البيانو حتّى نام .

وهنا ناداها الدكتور ميتكالف ، فتركت الغرفة من دون أن توقظ الفتى الصغير .

وحين كان الأولاد يتناولون الشاي ذلك المساء ، دخل الدكتور إلى غرفة الطعام ، وبوقار شديد ، وبحضورهم جميعاً ، أعلن هذا الحكم على ويلفريد :

- «لأن ويلفريد كليفورد ترك المدرسة ، وسافر إلى لندن بلا إذن ، فعليه أن يبقى في قاعة الدراسة كل يوم أربعاء ولستّة أسابيع ، ومن وقت الغداء حتى موعد العشاء» .

ثم أضاف الدكتور ميتكالف قائلاً :

«يجب أن أطلب منه أن يقول لي كلمة شرف ، يتعهد بها على أن يطيع هذا الأمر» .

نهض ويلفريد حين التفت إليه الدكتور ، وبصوت مرتعش ، ولكن بكثير من الجدّية والرزانة ، قال :

ـ «سأطيعك يا أستاذ ، أقسم بشرفي كرجل» .

وخرج الدكتور مسرعاً ، وبدأ الأولاد يضحكون ويمزحون حول الموضوع . لذلك دعت السيدة ميتكالف الفتى الصغير إلى أن يأتي معها. وحين دخلا إلى غرفة أخرى ، قالت له بلطف:

ـ «لاأظن ان حكم الدكتور سيصيبك بأي أذىً ياصغيري . لأننا نحرص على أن تكتسب تجربة كافية للأيام المقبلة، وستكون هذه فرصة طيبة لك ياويلفريد ، لتثبت انك ، على الرغم من فشلك في الطاعة مرة ، لن تفشل مرةً أخرى مطلقاً» .

ـ «لن أفشل» .

قال ويلفريد .

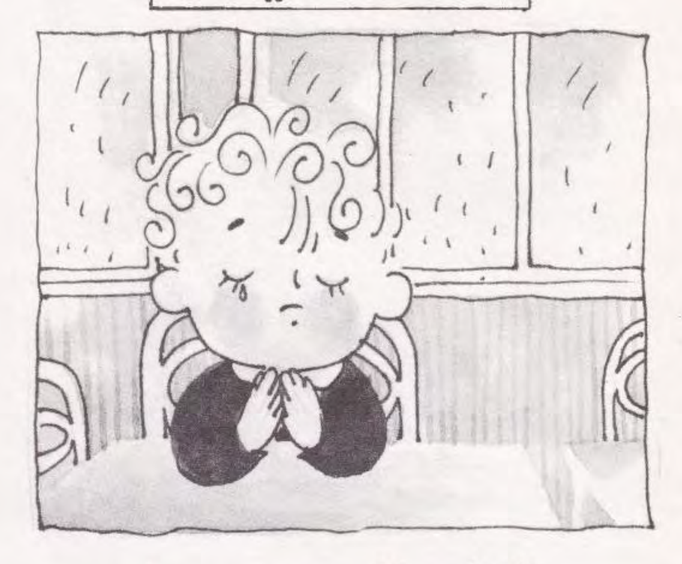
«كما تعرفين ياعزيزتي السيدة ميتكالف ، أنني لم أتعهد للدكتور من قبل قط بإطاعة أوامره» .

ـ «آه ، ولكن ألم تتعهد لأمك بأن تفعل مانقوله نحن لك ؟» .

- «أوه لقد نسيت ذلك تماماً . إنني انسىٰ الأشياء دائماً .
فلقد جعلتني أمي أتعهّد لها قبل أن تسافر» .
- «ستحافظ على العهد الذي قطعته على نفسك ، وليس
لديّ أيّ شكٍّ في ذلك ؟» .
- «نعم» ،
قال ويلفريد .
«إنــه عهد مقــدّس ، أمام الأولاد وأمــامــك وأمــام
الجميع ، ولايمكنني أن أنقضه» .
- «يجب أن تكون محترساً مع ذلك ، فلن يُعيّن أحــد ما
ليراقب إن كنت قد ذهبت إلى قاعة الدراسة ظهر كل يوم
أربعاء ، أو انك بقيت هناك طوال الوقت المطلوب . يجب
أن تكون سجيناً بكلمة شرف منك» .
- «إنني أعرف مايعني ذلك . فهو يعني انني مرتبط بعهد
الشرف ، لقد قلت كلمتي ويجب أن أحافظ عليها» .
- «وستفعل ؟» .
- «نعم ســأفعل . ستــة أسابيــع مدة طــويلة يــاسيــدة
ميتكالف ، وأنا مجرد صبي صغير ، ولكنني أعطيتك كلمة
شرف» .
- «والآن يــاعزيــزي، يجب أن تذهب إلى النــوم ، وإلاّ
فستمرض من شدة الإرهاق» .

وأحس ويلفريد بأنه شديد الانفعال والتوتر ، بحيث لايستطيع النوم ، ولكنه أطاع الأمر على الفور .

الفصل الحادي عشر



الفارس الصغير سجينا

ستة أربعاوات .

ست مرات من اللعب البهيج المرح ، لمدة أربع ساعات في الأقل لكل مرة ، يقضيها الأولاد في مدرسة الـدكتور ميتكالف ، باستثناء ويلفريد .

كان التفكير بهذا مدمّراً مؤذياً .

أول يوم أربعاء ، لم يكن صعباً كالذي جاء بعده .

لقد أدرك أن الحكم عليه عادل جداً ، وكان مسروراً إذْ امتلك الفرصة لإظهار طاعته . وأحس بشيء من الفخر بهذا ، على الرغم من أنه كان صبياً صغيراً .

ولم تتخذ أية إجراءات لضمان طاعته والتزامه بالحكم . بل ترك كل شيء لعهد الشرف الذي قطعه على نفسه .

باب قاعة الدراسة لم يكن يغلق ، والشبابيك التي يستطيع الخروج منها بسهولة وبقفزة بسيطة ، تركت مفتوحة على مصاريعها .

لا أحد ذكّره بعهده ، ولم ينظر الدكتور إليه نظرة ذات مغزى وهو يقول بطريقته المعهودة بعد تناول الغداء :

- «اخرجوا أيها الأولاد !. تمتّعوا بوقتكم» .

ذهب ويلفريد ببطء إلى قاعة الدراسة . ومن الواضح أنه لا أحد انتبه لما فعل . ولكنه وجد أن شخصاً ما قد وضع على مقعده في الصف ، كتاباً قصصياً مشوقاً جداً ، مليئاً بمغامرات الفتيات في افريقيا ، ومصوّراً بصور رجل غابات بدائي ، وأسود ، وحيوانات مرعبة أخرىٰ .

وبعد أن ألقى عليه نظرة نصف دقيقة ، فتنه الكتاب

كثيراً وأعجبه ، بحيث جلس على مقعد خشبي إلى جانب المنضدة ، وراح يقرأ لمدة ساعتين ومن دون توقف.

ثم وصل أخيراً ، إلى قسم فاتر من القصة بعض الشيء ، وتطلع في دهشة إلى الساعة الموضوعة فوق رفّ الموقد ، فوجد ان عقرب الساعات يشير الى الرابعة .

ـ «ساعتان فقط ، وسيحل موعد تناول العشاء» .

فكر مع نفسه وهو ينهض سائراً نحو النافذة .

كان ذلك شيئاً غير سارّ بالنسبة له ، مع ذلك ، حيث يسمع من هناك أصوات المرح واللعب والضحكات العالية المنطلقة من ساحة الكريكيت .

ما أسعدهم ، أولئك الأولاد !. كم يتمنى لو يركض ويرىٰ ما يحدث !. ولكن يجب عليه ألّا يفعل ذلك .

ـ «كلا ، سأكون شجاعاً» .

قال لنفسه .

ثم فكر في أن من الأفضل أن يكتب رسالة إلى أمه .

كان ينوي دائماً أن يخبرها بكل شيء عن رحلته إلى لندن . ولكن الكتابة كانت عملية مجهدة له ، لهذا تخلّى عن تنفيذ الفكرة .

ومع ذلك ، صمّم الآن على أن يكتب ، ففتح المنضدة وتناول بعض الورق ، وبدأ يكتب ببطء شَديد وبعناية

بالغة :

ويكفيلد

أمي العزيزة ـ وقعت في مشكلـة كبيرة . أنـا سجين بعهد شرف قطعته على نفسي ، حاولت أن أكون فارساً ، ولكنني صرت لصاً . كما ترين ، ياماما العزيزة ، أنني لم أتذكر نهاية القصة ـ في الأقل وسط النهاية . لقد نسيت تماماً انني عـاهدتـك على أن أطيـع الدكتـور والسيدة ميتكالف . ولكن الدكتور كان متفهّما . قال إنه سيدعني أسافر إذا وافقت السيدة ميتكالف . وهي الوحيدة التي لم توافق .

ولكنهـا لطيفة الآن ، وأظن أنهـا ربما كـانت آسفة لرفضه . أوه ماما ، ياماما ! لا أستطيع أبـداً أن أكون فـارساً ، انني ولـد صغير جـداً ـ عـلى عمـل أي شيء صحيح .

ماما العزيزة

متى ستأتين إلى البيت . انك تفهمينني أكثر من أي شخص آخر ـ وأظن ان الدكتور فقط يفهمني قليلاً .

حبي الكبير لأبي العزيـز ، وأرجو أن يكـون بصحة أفضل .

انني اتساءل : هل حاول فيما مضى أن يكون فارساً ؟ .

إذا كان قد فعل ، فهو يعرف أنه عمل صعب تماماً ، وعلى نحو خاص ، بالنسبة لولد صغير .

التوقيع

ابنك ويلفريد الذي سميته مرةً

«الفارس الصغير» .

ملاحظة -

ان استطعت سماعك تقولينها مرة أخرى يا أمي ، فأظن انني سأموت من الفرح .

ملاحظة اخرىٰ -

ان كانت هناك أية أخطاء في الإملاء فأرجوك المعذرة) . ثم طوى الورقة بعناية ، ووضعها في ظرف ، وعنونه طبقاً للإرشادات الواردة في رسالة أمه إليه . ولصق الطابع فوق الظرف ، ثم تمنّى لو يتمكن من وضعه في صندوق البريد .

كم من الوقت عليه ان ينتظر ؟ .

تطلع إلى الساعة .

مرحىٰ :. انها السادسة إلّا عشر دقائق .

كم استغرقت كتابة هذه الرسالة من وقت !؟.

أخرج الرسالة من الظرف ليقرأها مرةً أخرى ، وفي الوقت الذي استغرقته القراءة ، حانت الساعة

السادسة ، وأقبل الأولاد يركضون إلى قاعة الدراسة ليحيّوه بودّ .

ارسلت رسالته في حينها ، وكان يمكن أن تصاب السيدة كليفورد - أمه - بالارتباك والقلق إلى أبعد حد ، لولم تتسلم قبلها رسالتين مفصلتين بما حدث ، الأولى من أختها والثانية من السيدة ميتكالف . كما ثبت الدكتور نفسه ملاحظة موجزة مع رسالة زوجته ، كتب يقول فيها :

«عزيزتي السيدة كليفورد :

ابنك الصغير فتى نبيل ، غيور مضحٍّ ، وشجاع . ان به حاجة فقط إلى أن يتوج نفسه بفضيلة الطاعة ليكون كل مانتمناه جميعاً .

لقد اخبرتك زوجتي أننا فكرنا أن نرهقه بضع أمسيات ، على أمل أن يكشف لنا أنه يمتلك هذه الفضيلة .

المخلص

مدرس «الفارس الصغير» .

ومن هذا التوقيع ، أدركت السيدة كليفورد ، أن الدكتور قد حاز على ثقة ابنها الصغير على نحو كامل .

وفي يوم الأربعاء الثاني ، كانت لدى ويلفريد رسالة

طويلة وصلته من أمه ، ليقرأها مرة ، وثانية ..

كتبت السيدة كليفورد رسـالتها بصيغـة مشجعة ، وبينما كانت تتألم لفشل ابنها الصغير في الطاعة ، إلاّ أنها مـع ذلك ، لم تشر إلى أن رغبتـه بـالـذهـاب إلى أختـه الصغيرة ، كانت جيدة وتدل على طبيعة فروسية . وقالت له أيضاً ، ان العقوبة المختارة من قبل الدكتور ميتكالف ، تدل على أنها فرصة رائعة للتدرّب على تلك الفضيلة التي فشل في الحصول عليها على نحو محزن .

(فكر بالجزء الأخير من القصّة مرة أخرىٰ) .

قالت في الرسالة .

(وحاول أن تتقبل عقوبتك بلباقة شديدة ، كمـا فعل دايودون . عليك أن تطلب العـون من الله . انه الـزعيم الكبير الحقيقي الذي ننحني جميعاً طاعةً له ، وسيمنح عونه لكل من يطلبها) .

ثم أفرحت قلب الصغير اذ كتبت له تقول ان الخالة ميريت قد دفعت ـ في الحـال ـ إلى موظفي القطـار ثمن تذكرته إلى لندن ، لذلك فهو ليس محتاجاً إلى الانشغال بذلك الدَّيْن الثقيل . ثم قالت :

(ان فعلها هذا ـ اي الخالة ميريت ـ لايغير شيئاً من غلطة سفرك بلاتذكرة سفر ياعزيزي . ولكن هذا يصحّح

مانستطيع تصحيحه . وأعرف انك ستسأل الله أن يغفر لك خطيئتك التي ارتكبتها عن جهل ـ نوعاً مـا ـ لأنني أعلم ياويلفريد الصغير ، لو أن شخصاً ما بين لك خطأ مافعلت . لما كنت قد فكرت بفعله لحظة واحدة .

إنني ألوم الفتى الكبير كثيراً ، فهو الذي أقنعك بالسير في ذلك الطريق ، وأنا واثقة من أن فارسي الصغير ، لن يفعل اي شيء من هذا القبيل مرة أخرى) .

ـ «لن افعل مطلقا ... مطلقاً !» .

قال ويلفريد لنفسه . ثم فكر وقتاً طويلاً بقول أمه : ان الله هو الزعيم الكبير الذي تجب على الجميع طاعته . ثم همس بصلاة قصيرة لله طالباً فيها العون والقوة ليحفظ عهده ويكون فارساً حقيقياً شجاعاً .

وفي يوم الأربعاء الثالث ، هطل المطر بغزارة ، ولهذا لم يستطع الأولاد الخروج وبقـوا داخل قـاعة الـدراسة وخارجها طوال المساء .

وهذا جعل الأمر يبدو مثيراً بالنسبة لويلفريد .

وفي الأربعاء الرابع ، قضى وقتاً مرهقاً ، لأن الدكتور سمح للأولاد بصيد السمك في نهر عريض يبعد ميلاً أو ميلين عن المدينة ، فراحـوا يهيئون بعض التجهيـزات ليبقوا هناك في الخارج حتى حلول الظلام .

مسكين ويلفريد !..

لقد تمنّى كثيراً أن يشاركهم ،وقال عدد من الأولاد إنه لمن المخجل ألّا يسمح له بذلك .

ريكس الذي لايمتلك قيماً اخلاقية راقية ـوقد عرفناه من قبل ـ حاول أيضاً أن يغريه باللحاق بهم والانضمام إليهم من دون إذن ، مادام أن الدكتور لم يذهب معهم . ولكن ويلفريد تذكر أن ريكس هو الذي شجعه وأقنعه بالذهاب إلى لندن ضد إرادة الدكتور والسيدة ميتكالف . ولايمكن أن يصغي إليه الآن .

ولكنه ، لم يستطع تمالك نفسه عن البكاء بحرقة ، حين ذهب الأولاد ، وشعر بالحزن مدة طويلة ، حتى انه لم يرغب في قراءة نسخة جميلة من رواية (روبنسون كروزو) التي وضعها شخص ما على مقعده الدراسي .

ولكن في هذا الوقت ، دخلت السيدة ميتكالف الى القاعة ، وأفرحته كثيراً بتذكيره أنه بقي أمامه أربعاوان يقضّيهما بهذه الطريقة .ثم أسمته فتى شجاعاً ممتازاً ، وقالت : إن أمه ستفرح كثيراً عندما تعرف كيف حافظ على عهده بأمانة وإخلاص . وروت له بعض القصص عن الفرسان النبلاء حتى أن ويلفريد شعر بالسعادة البالغة ، وقد أسف كثيراً حين دقت الساعة ستّ دقات ،

وعليه أن يذهب الآن إلى الغرفة الأخرىٰ لتناول العشاء .

في الأربعاء الخامس ، كان ثمة نشاط وحيوية يدبّان فيما بين الأولاد ، لأن فريق المدينة بكرة الكريكيت جاء ليلعب معهم في ملعبهم ، وكانوا يتطلعون بأمل إلى تلك المباراة بعض الوقت.

كان ويلفريد ، حينئذ ، حزيناً لأنهم لم يقيموا المباراة يوم السبت ، حيث يمكنه أن يتفرج عليها .

وعلى الرغم من أنه صغير جداً ليكون في فريق المدرسة ، إلّا أنه كان متحمساً متلهّفاً لهذه اللعبة . وما يجعل الأمور أكثر سوءً ، هو أن الدكتور والسيدة ميتكالف ، كانا بعيدين عن البيت طوال النهار ، فحاول واحد أو اثنان من الأولاد ـ وخاصة ريكس ـ اقناع ويلفريد الصغير بالذهاب إلى الملعب مدة قصيرة ، مؤكدين أنه لا أحد يستطيع أن يعرف هذا ، لأنهم لن يفضحوا أمره . ولكن ويلفريد رفض أن يفعل ذلك .

ـ «كلا .. كلا . كلا» .

قال بشجاعة مرة ومرتين وثلاثاً ، حتى تركوه ، ثم ألقىٰ بنفسه على مقعد خشبي طويل وبكىٰ بمرارة .

وحين خمد بكاؤه ، كان في حالة معنوية سيئة جداً ، بحيث لم يتمالك عن مقارنة نفسه بالفارس السجين الذي

اعتادت أمه ان تغنّي عنه ، ذلك الفارس الذي ألقي في زنزانة برج محصّن ليموت ، بعد أن تحرّر رفاقه في السلاح من أسر العدو .

انبثقت كلمات الأغنية القديمة في ذهنه من تلقاء ذاتها :

هنا تركوني لأموت
مَنْ تحملتُ شطراً من حروبهم
ومَنْ أحببتُ بقلب أخوي
لقد رحلوا ،
مرّوابي من دون اهتمام .

ـ «نعم ، لقد رحلوا» .

قال ويلفريد الصغير لنفسه .

«وتركت وحيداً ، لاأحد يهتم ، لاحد يهتم بي» .

أصحيح أن لا أحد يهتم ؟ .

إنها ساعة مظلمة لدى ويلفريد .

فرغبته الملتهفة في الحصول على ماهو ممنوع عنه ، كانت تملأ ذهنه ، بحيث نسي رجاء أمه فيه ، نسي العطف الكبير للدكتور والسيدة ميتكالف وثقتهما به ، نسي أن بعض الأولاد كانوا آسفين لأنه لايستطيع أن يكون معهم ، نسي أن الله معه ، على الرغم من أنه لايراه ، وهو

الذي يحبه ويرعاه طوال الوقت .

- «سأكون مسرورة ، حين تنتهي عقوبة ويلفريد الصغير» .

قالت السيدة ميتكالف أكثر من مرة لزوجها في الاسبوع التالي .

يبدو تعيساً ، وحالته ليست على مايرام . انني لا أستطيع فهمه على نحو صحيح ، فهو لايتحدث معي بحرية كما اعتاد أن يفعل وهو يبدو قلقاً ومتلهفاً للذهاب مع الأولاد ، حين أطلب منه ان يبقى معي» .

- «إنه يتصرف بالطريقة نفسها معي» .

قال الدكتور .

«ويبدو ، يقيناً ، انه خائف من سؤالي له . وحين ذكرت له فرسان السيف الذهبي هذا الصباح ، أدار رأسه عني وأجهش بالبكاء . أرجو ألّا يكون الأولاد قد عرفوا القصة فأخذوا يضايقونه بها» .

- «لا أظنهم قد عرفوا» .

ردّت السيدة ميتكالف .

«ويلفريد كتوم جداً ، ولايحتمل أنه قد أخبرهم عنها . كلا . وأظن الأمر ببساطة ، هو أنه قد زاد ضجراً من العقوبة المفروضة عليه مساء كل أربعاء . وأخشىٰ من ان

البعض من الأولاد عديمي الأخلاق ، قد حاول ان يهزّ صموده ، ويقنعه بنقض عهده» .

ـ «اذا عثرت على أي ولد يفعل شيئاً كهذا ، فسأجلده بالعصا» .

قال الدكتور ميتكالف بصرامة .

«فليس هناك من شيء أسوأ من إغواء شخص آخر ، وروح بريئة بارتكاب الخطأ» .

ـ «سأسهلها قليلاً على الصغير في الأربعاء المقبل» .

قالت السيدة ميتكالف ، وأضافت :

«اتمنّى الآن ، لوانك حكمت عليه بأربعة أربعاوات فقط !» .

الفصل الثاني عشر



الفارس الصغير يتغلب على ذاته

وفي الأربعاء السادس ، جاءت السيدة ميتكالف بمجموعة من الصور إلى قاعة الدراسة ، وطلبت من ويلفريد أن يساعدها في لصقها في دفتر كبير خاص بلصق الصور كانت تعدّه لبعض الاطفال الفقراء .

مرّ الوقت بسرعة وهو يؤدي هذه الخدمة ، وشعر

بالأسف الشديد حين حلّت الساعة السادسة .

حاولت السيدة ميتكالف ، مرةً أو مرتين ، أن تهيئه لمفاجأة تنتظره ، ولكنه بدا مستغرقاً في الصور ، كما لو لم يكن ليهتم بأي شيء آخر . لذلك فوجيء عند دخوله إلى غرفة الطعام ، إأذْ وجد نفسه وجهاً لوجه مع الكائن الذي أحبه أكثر من أي شخص آخر .

- «أوه ، ماما ، ماما !» .

وبكى وهو يلقي بنفسه فيما بين ذراعيها .

- «ياحبيبي ، يافارسي الصغير» .

همست له ، ثم قالت :

«لقد أخبروني عن شجاعتك وصدقك ، لذلك أسرعت لأكون هنا في هذا الوقت وفي هذا المساء ذاته» .

ارتعشت شفتا ويلفريد ، واحمر وجهه ، وهزّ رأسه المجعد ببطء ، كما لو أن الحركة قد غابت عنه .

لاحظت السيدة كليفورد علامات الخيبة واليأس ، فشعرت بالحيرة والاضطراب ، فلم تكن تتوقع او تنتظر شيئاً في هذه الليلة سوى السعادة .

- «هل تحسنت صحة أبي ؟. هل عاد إلى البيت ؟» .

سألها ويلفريد .

- «نعم ، لقد عاد بصحة جيدة مرة أخرى ، وهو الآن في

البيت . لم يستطع المجيء معي إلى هنا هذه الليلة ، ولكنك ستراه عاجلاً ، وهو يبعث إليك بتهانيه وحبه ، لأنك اجتزت مدة العقوبة على نحو جيد جداً ، وبهذا برهنت على طاعتك» .

وظهرت الدموع في عيني ويلفريد ، فأدار رأسه بعيداً عن أمه كي لاترى وجهه . فأخذت تخشى من أن تكون المدرسة قد غيرته كثيراً .

ـ «أنا عازمة على تناول الطعام مع الأولاد ، إذا سمحت !» .

قالت الأم للسيدة ميتكالف ، وأضافت .

«أيمكنني أن أجلس إلى جانب ابني الصغير ؟» .

ومنحتها السيدة ميتكالف ـ عن طيب خاطر ـ الاذن المطلوب . كانت السيدة كليفورد أمرأة فاتنة محبوبة بنظر جميع الأولاد ، بحيث انهم اتفقوا بعد ذلك على أنها كانت واحدة من ألطف السيدات في العالم .

وقرب انتهاء وجبة الطعام ، دخل الدكتور ميتكالف ، وبعد أن هزّ يدي السيدة كليفورد مصافحاً ، تقدم إلى صدر الطاولة ، ووقف هناك ، كما كان يفعل عادة ، حين يريد إلقاء كلمة .

ـ «أعزائي الأولاد ، سيدتيَّ العزيزتين» .

بدأ كلمته هكذا ، ثم قال :

«لديّ بضع كلمات أقولها لكم بشأن صديقنا الصغير ويلفريد كليفورد . كلكم تعرفون أنه بسبب عدم طاعته ، حكم عليه بالبقاء في قاعة الدراسة خلال أمسيات ستة أربعاوات ، بينما كنتم ، يا أولادي ، تلعبون وتمرحون .

والآن ، وهو مجرد فتى صغير ، ولكن كما تعرفون ، لم يعيّنْ أحد لمراقبته ، إن كان قد بقي في قاعة الدراسة في تلك الأمسيات ، والباب لم يكن مقفلاً ، والشبابيك مفتوحة ، ولم نطلب من الخدم أن يراقبوه ، فقد أعطى كلمة شرف منه بأن يبقى هنـاك ، ووثقنا بكلمتـه كرجـل» . توقف الـدكتور عن الكـلام لحظـة ، فصفّق الأولاد تصفيقـاً حاداً !. ولكن !...

ولكن رأس ويلفريد المجعّد ، راح يتمايل ويهتزّ ببطء يميناً ويساراً .

ـ «أجعلته الحياة المدرسية خجولاً هكذا ؟» .

فكرت أمه .

«هذه هي ساعة نصره ، ومع ذلك ، فهو يبدو كما لو كان متهماً .

يالطفلي المسكين !. ما الذي حدث له هنا بحيث تغيّر إلى هذا الحدّ»

ثم واصل الدكتور إلقاء كلمته قائلاً :

- «لا أحد يعرف سوى ويلفريد نفسه ، مدى الرغبة التي تجتاحه للخروج عبر الباب المفتوح ، أو ليستسلم لاقتراحات اولئك الذين حاولوا اغواءه - وأقول هذا بكل أسف - بمغادرة القاعة ونقض العهد» .

واصفرّ وجه أووجهان ، حين قال الدكتور هذه الجملة .

ولكن ، هل وشىٰ بهم ويلفريد ؟. هل خانهم ؟.

واستمر الدكتور يقول :

«لقد قالت لي الخادم التي تركت البيت قبل قليل ، ان عدداً من الفتيان كانوا سيئين جداً بحيث حاولوا إقناع السيد كليفورد بالخروج معهم في أمسيات الأربعاء . لقد ضبطتهم مصادفة وفي أكثر من حالة . وقد ذكرتهم لي بالأسماء ، وأنا أضع هؤلاء المذنبين تحت المراقبة .

أولادي الأعزاء ..

أسوأ شيء ، هو ان تحاولوا اغواء الآخرين ، وخاصة الصغار ، بارتكاب الخطأ» .

وتوقف الدكتور بعض الوقت ساد فيه الصمت غرفة الطعام . وبدا الأولاد متأثرين جداً ، بينما طأطأ عدد منهم برؤوسهم ، وشحب وجه ريكس بشدة . وانطلق من

ويلفريد صوت تنهّد واضح ، على الرغم من محاولته منع التنهد من الخروج .

وألقى الدكتور بنظرة إليه ، ثم أضاف :

ـ «ويلفريد كليفورد ، كان مجرد صبي صغير ، ولكن له الفخر الكبير إذْ ربّتْهُ أم فاضلة بعناية تامة ، وكان يعرف أنه إذا استسلم للغواية ، فسيكون ذلك إثماً ، لذلك صمد بصلابة ورجولة ، وأثبت بنبل كبير ، استحقاقه لثقتنا به . وبصبر ، وبلا تذمرّ ، وبشرف ، تحمّل العقاب الذي حكمنا به عليه بالكامل» .

وهتف الأولاد وهم يصفقون بحماسة .

ولكن الرأس المجعد مازال يتمايل ببطء ، وصار وجه ويلفريد ، مع ذلك ، اكثر احمراراً .

ماقضيته ؟ .

شعرت السيدة كليفورد بعدم الارتياح .

أكان هذا كثيراً عليه ؟ .

أكان يضايقه شعور عميق بالإثم ممّا فعل ؟ .

وراحت تأمل ألّا يتحدث الدكتور المزيد عن هذا الموضوع .

«ولهذا ، أعلن الآن ، أن ويلفريد كليفورد ، قد برهن بنفسه ولنفسه أنه ولد مطيع بكل معنى الكلمة ، وأنه حيّ

الضمير والاحساس على نحو صادق» .

ثم قال الدكتور :

«تعال إليّ ياويلفريد ، ينبغي أن تكون هذه هي أسعد لحظة في حياتك» .

ودارت كل العيون لتنظر إلى ويلفريد .

ولكن !، ولدهشة الجميع ، أجهش ببكاء مؤثر .

- «أخشى أن يكون هذا كثيراً عليه» .

قالت السيدة كليفورد وهي تضمه بين ذراعيها ، ثم قالت بصوت خفيض :

- «والآن ياويلفريد ، ياولـدي العزيـز ، كن شجاعـاً . الدكتور يريد منك أن تذهب إليه . ارفع رأسك كرجل ، واشكره على كلماته اللطيفة» .

- «ما الذي يدعوك إلى البكاء !؟».

صاح الدكتور وقال :

«كلا يا بني ، في هذا الوقت عليك أن تبتسم ابتسامتك المشرقة .

اننا جميعاً فخورون بك» .

- «كن رجلاً الآن ياويلفريد»

همست أمه .

«اذهب إلى الدكتور وارفع رأسك نحوه واشكره» .

وبهذا التشجيع ، نهض ويلفريد بصعوبة بالغة . واستطاع ، بجهد كبير ، أن يكفكف دموعه ، ويكف عن تنهداته ، وتقدم نحو الدكتور :

ـ «هذا هو رجلنا الصغير» .

قال الدكتور بلطف ، واضعاً يده على خصلات شعر ويلفريد الذهبية .

ـ «أيمكنني أن أتكلم يا أستاذ ؟» .

قال ويلفريد متنهداً .

ـ «نعم بالتأكيد ، تكلم بلا تردد» .

ـ «سأتكلم» .

صاح ويلفريد بانفعال ، كما لو أن شخصاً ما كان يحاول منعه من الكلام ، ثم قال :

«دكتور ميتكالف ، سيدي ، سأخبرك بالحقيقة كلها ، وأقسم على ذلك بشرفي كرجل ، فلقد خرجت من قاعة الدراسة في الأربعاء الأخير» .

وعندئذ انهار وأخفى وجهه بيديه ، وراح يبكي بمرارة شديدة . الجميع كانوا مدهوشين ، ولكن لا أحد دهش أكثر من الدكتور الذي ظهرت على وجهه خيبة الأمل ، فضلاً عن ذلك . فقد كان واثقاً من أنه كان ولداً ذا عقلٍ نبيل على نحو متفرّد . وللحظة أو لحظتين ، لم يتمكن من

أن يدرك ما الذي دفع الولد الصغير ليعترف بخطئـه ، بينما كان الجميع يمتدحونه ويستحسنون سلوكه .

ولكن أمه فهمت ، فقد شحب لون وجهها ، ولكن ـ بعد ذلك ـ رجع اللون إلى وجهها ، وأخذت تنظر بتفاؤل أكبر إلى ابنها ويلفريد .

ـ «أيعرف أحدكم هذا الأمر يا أولاد ؟» .

سألهم استاذهم .

«أكان أي منكم عارفـاً أن ويلفريـد خرج من قـاعة الدراسة؟» .

لاجواب ...

كان الاولاد ينظرون باستغراب ، بعضهم الى بعض كان واضحاً أن لا أحد منهم يعرف ، وبـداريكس أكثر ذهولاً من أي واحد منهم .

ـ «والآن ياويلفريد ، أخبرني كيف حدث أن نقضت عهد الشرف الذي قطعته على نفسك ؟» .

قال الاستاذ وأضاف :

«أخبرني بشجاعة وصدق . كيف حدث هذا ؟» .

وتطلع ويلفريد إلى وجه الدكتور ، وأجاب بشجاعة :

ـ «حدث ذلك في الأربعاء الأخير يا أستاذ ، اي الأربعاء الخامس . تذكر مباراة الكـريكيت ، وتعرف أنني كنت

أرغب كثـيرا في مشاهـدتها . فقلت لنفسي : لن أذهب . ولكن ، حين ذهب الجميع ، شعرت بالتعـاسة ، ولهـذا تمنيت كثيراً أن أذهب . وفكرت ألّا أحد سينتبه لي ، فقد سمعتهم يمرحون ويهتفون بأصـوات عاليـة ، عاليـة . وعندئذ فكرت : انْ أنا قفزت من خلال النافذة ، وركضت عبر الحديقة ، ثم عبر الممر المحاط بالأشجار ، فيمكنني أن أتفرج من فوق الحائط ـ وفعلت هذا ـ ورأيت فريقنا يفوز . وبعد ذلك ركضت عائداً إلى القاعة ، من دون أن يراني أحد» .

ـ «أنا متأكد من انك لست سعيداً بهذا الفعل» .

قالت الدكتور .

ـ «نعم» .

وبكى ويلفريد .

«لم أشعر بالراحة منذ ذلك الحادث» .

ـ «والآن يابني» .

واصل الدكتور كلامه برقّة ولطف :

«ما الذي جعلك تعترف ؟ . فأنت تقول أنْ لا أحد رآك . فلماذا لم تحتفظ بالسر ؟ . فقـد كنّا جميعـاً نمتدحـك ، فلماذا خلصتنا من هذا الوهم ؟» .

بكى ويلفريد وقال :

ـ «لقد فكرت ، ياأستاذ ، ألّا أقول ، ولكن هذا أمر حقير جداً ، سيء جداً ، لاأستطيع السكوت عن الاعتراف به يا أستاذ» .

ثم واصل كلامه ، بصوت خفيض جداً بحيث لايسمعه أحد سوى الدكتور :

«لايمكنني أن أكون فارساً أبداً ، وقد كنت لصاً ، ولكنني أودّ أن أكون مستقيماً صادقاً» ..

وألقى الدكتور يده بوقار على الرأس المجعد ، وقال هامساً :

ـ «سامحك الله يا بنيّ» .

ثم رفع صوته مخاطباً جميع الأولاد :

«أولادي ، لقد أصبنا بخيبة الأمل . اذْ لم يحافظ ويلفريد على وعده ، ونقض عهده ، فكان غير مطيع ولكن يجب ألّا نكون قساةً معه ، لأننا لن نتعرف على مخالفته هذه مطلقاً ، لو لم يعترف بالحقيقة ، حيث كان من الصعب عليه أن يعترف بها .

أولادي

لاشك أن في قلب هذا الفتى الصغير ، رغبة قوية تدفعه إلى الصمت عن الاعتراف . ولكن هناك صوت داخلي يدفعه إلى الاعتراف ، ويقول له : الافضل أن تكون

شريفاً ، على أن ينظر إليك الآخرون باحترام وإجلال . وهكذا اعترف كرجل .

وعلى الرغم من أننا نعرف الآن أنـه فشل في لحظـة ضعف وغواية ، ونقض عهده فصار غير مطيع ، الاّ أننا نعرف ـ أيضاً ـ أنه يشعر بالندم على عمله هذا .

ويلفريد ، امسح دموعك ، فقد غفرت لك» .

ـ «شكراً لك ياسيدي» .

قال ويلفريد ، وأضاف :

«وأرجوك ياسيدي .. أرجوك يا أستاذ» .

ـ «حسناً ، قل من غير تردّد» .

ـ «أيمكن أن أحجز في أمسية اربعاء آخر مرة ثانية عوضاً عن الأربعاء الخامس . أقصد ، اذا سمحت يا أستاذ ، أنه قد يمكنني أخذ فرصة ثانية لعمل ما يجب عمله ؟!» .

ـ «يصعب منحك هذا الطلب يابني» .

قال الدكتور مبتسماً للسيدة كليفورد ، ثم قال :

«ولكن ياويلفريد ، ستعطى لك هذه الفرصـة ـ كما تسميهـا ـ لتعمل مـايجب عمله ، طـوال حياتـك . كن صالحاً ، مستقيماً ، صادقاً ، كنْ شريفاً ، كن مطيعاً ، ليس في أيام الأربعاء فحسب ، ولكن في كل ساعة ، وكل لحظة من حياتك» .

وســاد صمت قصير بعـد أن قال الـدكتـور جملتـه الأخيرة .

ثم نهض ريكس ، وقال بصوت أجش :

- «من فضلك يا أستاذ ، أأستطيع أن اتكلم ؟» .

- «نعم بالتأكيد» .

ولكن الدكتور بدا مذهولاً .

أصلح ريكس صوتـه بالتنحنـح ، ثم قال بعصبيـة ظاهرة :

- «اظن انك يجب أن تعرف ياسيدي ، أنني أنا من حاول أكثـر من غيره ، اغـواء ويلفريـد واغراءه بتـرك قاعـة الدراسة . وأنا ايضاً ، ساعدت في اقناعه بـالسفر إلى لنـدن من دون اذن . وأرجو أن تسـامحني ياأستـاذ . واستطيع أن أقول في تبرير تصرفي ، هو أنني لم أر أمي قط ، ولم يربّني أحد كما ربي ويلفريد» ،

ثم جلس ريكس المسكين ، ومرّر يـديه عـلى عينيه ، وحاول الّا يظهر دموعه وبكاءه أمام الاولاد .

- «انني أقدّر هذا الاعتراف أيضاً» .

قـال الدكتـور وهـو يقتـرب من ريكس ويصـافحـه بحرارة .

«انها شجاعة منك يا بني أن تعترف بخطئك» .

ـ «لاأستطيع أن ابقى صامتاً ، حين يضرب لي هذا الولد الصغير مثلاً حسناً» .

قال ريكس ناظراً إلى ويلفريد ، وأضاف :

«فمنذ أن جاء إلى هنا ، تعلمت منه الشيءالكثير» .

ـ «الآن استعدت حالتي الطبيعية» ،

قال الدكتور بصوت خفيض . ثم التفت نحو الأولاد وقال لهم إنهم يستطيعون الخروج من الغرفة ، ولكنه أشار إلى ويلفريد ليعود إلى أمه .

ـ «انك متأكد من أنه ليس لديك اعتراض على اصطحابه معي إلى البيت ، مادام أن العطلة قد اقتربت» .

قالت الأم للدكتور ، وأضافت :

«وسيعود في الفصل الدراسي المقبل ، ان كنت تقبل ذلك» .

ـ «انْ كنت أقبل؟!» .

هتف الرجل الطيب .

«ياسيدتي العزيزة ، سيحزنني جداً أن تأخذيه بعيداً عنّا ، وأنا واثق من أن السيدة ميتكالف ستحزن كذلك . ولكنني موافق على ماتريدين . واتفق معك في ان تغيير الجو والمكان ، سينفعه كثيراً . وبعد كل ماحدث ، ونظراً لأنه مشتاق لأمه ، فأنا متأكد من أنه لاشيء يريحه ـ

ذهنياً ونفسياً ـ أكثر من بقائه معها» ،

شكرته السيدة كليفورد ، ثم أخبرت ويلفريد أن عليه أن يعود معها إلى البيت هذه الليلة ،

وليست بنا حاجة إلى القول : إن ويلفريد غمرته السعادة لسماعه هذا الخبر ، على الرغم من أنه حزن لفراق الدكتور الطيب ، والسيدة ميتكالف ذات القلب الرحيم .

وراح يتحرك في حيوية ونشاط من فوره حتى انتهى من رزم ملابسه في الحقيبة ، ثم ودع الأولاد ، وصعد مع أمه إلى العربة التي تقلهما الى محطة القطار .

وعندئذ طرح عليها سؤالاً كان يتوق إلى طرحه منذ زمن :

ـ «ماما ، أهناك فائدة في المحاولة ؟. أيمكنني أن أكون فارساً يوماً ما ؟» .

ـ «ماذا تعني ياويلفريد؟» .

سألته ، وقالت .

«هل تعني أن تحمل لقب فارس ؟ . أو هل تعني أن يكون لك قلب مثل قلب أفضل فارس عاش على الأرض ؟» .

ـ «أوه يا أمي ، تعرفين أنني أعني هذا الأخير . أريد أن

أكون تماماً مثل أفضل فارس عاش على الأرض» .
ـ «ستكون كذلك ذات يوم ، إذا بذلت جهدك . لقد ارتكبت بعض الأخطاء ياولدي الصغير ، ولكنك ، مع ذلك ، مازلت على الطريق الصحيح . نعم فأنت لم تفشل نهائياً ، لقد فشلت جزئياً ، هذا صحيح ، ولكنك حققت نصراً عظيماً» .
ـ «نصر عظيم ، ياماما ؟» .
ـ «نعم ، حين قاومت الرغبة بعدم الاعتراف بخطئك ، حين كانوا يمتدحونك ، فقد أصغيت للصوت الذي قال لك : إنه خطأ ألّا تقول لهم إنك لاتستحق كل هذا الاستحسان والمديح ، وأطعت ذلك الصوت ، وبذلك (تغلّبتَ على ذاتك) ، وهذا عمل فروسي» .
وغمر ويلفريد سرور شديد ، بحيث انه لم يستطع الكلام مدة طويلة .
عمل فروسي !!.
لقد (تغلّب على ذاته) أخيراً ، ثم راح ينشأ كما نشأ دايودون ، وقد يكرسه الله بمعونته ، ليجعل من هذا العالم أكثر إشراقاً وسعادة ، وأقرب إلى الجنّة . كانت هذه فكرة كبيرة لصبي صغير . كان قلبه مليئاً بالأمل والتفاؤل ، وعندئذ ـ وقد اقتربا من البيت ، وبدأ القطار

يخفض سرعته في هذا الوقت ـ انحنت أمه عليه وقبلته ، وهي تقول :

ـ «يافارسي الصغير» .

تطلع ويلفريد الى وجهها ، فرأى الدموع تترقرق في عينيها ، ولكنه لم يعرف أنها دموع الفرح والبهجة . لذلك فكر مع نفسه :

ـ «انها تفكر بكل الأخطاء التي ارتكبتها . سأحرص في المستقبل ، على ألاّ أجعلها تبكي مطلقاً بسببي» .

ثم توقف القطار ، ورأى أباه ينتظرهما على رصيف المحطة .

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
بغداد - العراق ص.ب ٨٠٤١

السعر ٧٥٠ فلساً

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥٢٨ لسنة ١٩٩٠

مطبعة ديوان - بغداد ٨٨٢١٥٧